الأصالة

الأصالة

عودةً إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَفِ الأُمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ منهجيَّةٌ جامعةٌ

١٥ ذي القعدة ١٤١٥ هـ

١٥، ١٦

تقرأُ في هذا العدد :

مسائل وأَجوبتها : للعلَّامة المحدِّث محمَّد ناصر الدين الأَلباني

كلمة التوحيد ؛ فضلها ومعناها : العلّامة الشيخ محمد بن صالح بن عُثَيمين .

ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ محمَّد إبراهيم شقرة .

في فقه الدعوة : أحمد سلام .

نماذج من سيرة الدعاة إلى الله : د . صالح بن غانم السدلان .

الإسلام والتربية : د . خالد محمد علي الحاج .

حول قصيدة البردة : د . محمد المغراوي .

الكوثري والكوثريّة : د . الشمس السلفي الأَفغاني

.. وغيرها من المواضيع والأبواب الثابتة

الأصالة

عَودَة إلى الكتابِ والسُّنَّة بفهم سَلَف الأمَّة

رسالةٌ إسلاميَّةٌ مَنهَجيَّةٌ جامِعَةٌ

تصدر منتصف كلِّ شهر هجري ، وفي كلِّ شهرين مرَّة مؤقَّتًا

السنة الثالثة : العددان الخامس عشر والسادس عشر

١٥ ذي القعدة ١٤١٥ هـ

رئيس التَّحرير

محمَّد موسى نصر

ص ب ٥٣٣٨ / ١١٣

بيروت - لبنان

إِنَّ الحَمدَ للَّه ، نَحمدُهُ وَنَستَعينُهُ ونَستَغفرُهُ ، ونَعوذُ باللَّهِ مِن شرورِ أَنفُسِنا ، ومِن سَيِّئاتِ أَعمالنا ، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَن يُضلِل فلا هادِيَ لهُ .

وأَشهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللَّهُ وَحدَهُ لا شريكَ لَهُ .

وَأَشهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله حَقَّ تُقاتِهِ ولا تَموتُنَّ إلّا وَأَنتُم مُسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحدَةٍ وخَلَقَ مِنها زَوجَها وبَثَّ منهُما رجالًا كثيرًا ونِساءً واتَّقوا الله الَّذي تَساءَلونَ بِهِ والأرحام إنَّ الله كانَ عَلَيكُم رَقيبًا ﴾ [النساء : ١] .

﴿ ياأَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا الله وقولوا قَولًا سَديدًا يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنوبَكُم وَمَن يُطعِ الله ورَسولَهُ فَقَد فازَ فَوزًا عَظيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أمَّا بَعد :

فإنَّ أصدَقَ الحديثِ كلامُ اللَّه ، وخَيرَ الهَدي هَديُ مُحمَّدٍ ﷺ ، وشرَّ الأُمورِ مُحدَثاتُها ، وكلَّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكلَّ بِدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار .

مَنْ للإِسلَام ؟!

التحرير

تتعالى أَنَّاتُ الثكالى ، وتتوالى آهاتُ اليتامى ... مِن هنا تارةً ، ومِن هُناك تاراتٍ ، طورًا على عِزٍّ مفقود ، وآخرَ على واقعٍ منكود ، وأطوارًا على أَملٍ منشود ... ويجمعُ هذه الأَنَّاتِ وهاتيكَ الآهاتِ شيءٌ واحدٌ ، وهو **الإسلام** ...

حتَّى أُولئك المسلمون الذين يعيشون في بُؤرة الكُفْرِ وَسَطَ أُوروبَّة مِمن لا يعرفُ أَكثرُهُم مِن الإِسلام إِلَّا اسمَه ، ومِن القرآن إِلَّا رسمَه ، لم يَنْجُوا مِن الحِقد الصليبيِّ اللئيم ، ولم يَسْلَمُوا من تكالُب أعداءِ الإِسلام المنادين كذبًا وزورًا وبُهتانًا بـ « حقوق الإنسان » !! والسببُ - فقط - أَنَّهم مُسلمون ، فـ (لعلَّهم) إلى دينهم يرجِعون ، وبهديهِ يهتدون !!

وإِذا نَظرتَ إِلى المسلمين في مُعْظَم البلاد الإِسلاميَّة تراهم مُستضعفين ، مُضيّقًا عليهم ، مُشَدَّدًا على ما يقومون به ، حتى ولو كانوا مِن (المعتدلين) لا مِن (المُتطرفين) كما يُقال !!

ومِمّن ؟!

مِن أُناس يقولون : نحن مسلمون ! بل : نحن حُماةُ الإِسلَام والمسلمين ! و: نحن حَمَلَتُهُ ! و : لَنا الشَّرفُ بالانتماءِ إليه !!

أَيُّ شَرَفٍ وأَيُّ حمايةٍ وأنتم تدوسون المسلمين ، وتُشَدِّدون الخنَاق عليهم ؟! فَلا دعوةَ ، ولا دُروسَ ، ولا مُحاضرات ، ولا نَدَوات ...

ثم يقولون : حُريّة ! ديمقراطية !

مَن للإِسلام ، يُعيدُ مجدَه ، ويُرْجِعُ عِزَّه !

مَن للإِسلام ، يُنيرُ دربَه ، ويُسْعِدُ أَهلَه !

مَن للإِسلام ، يَشُدُّ أَزرَه ، ويرفعُ رايَته !

... ﴿ قالت الأعرابُ آمنَّا قُلْ لم تُؤْمِنوا ولكنْ قولُوا أسلَمنْا ولمَّا يدخُل الإيمانُ في قلوبكم ﴾ ...

لا شكَّ ولا ريبَ أَنَّ للإِسلام جنده ، وقد وعدهم الله بنصره و ﴿ لتعلمُنَّ نبأه بعد حين ﴾ .

وقد بشَّرنا نبيُّنا ﷺ بنصر الإِسلام طال الليل أَم قصر ، وأَنَّ الطائفة المنصورة باقية حتّى يرث الله الأَرض ومن عليها ، ومهما انتفش الباطل وعلا الزبد فإِنّه زاهق وذاهب إِلى جفاء ، مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿ أَما الزبد فيذهب جُفاءً وأَمّا ما ينفعُ النَّاس فيمكثُ في الأَرض ﴾ ، والنصر مع الصبر ، والعاقبة للمتقين .

﴿ وإِن تصبروا وتتقوا لا يضرُّكم كيدهم شيئًا إِنَّ الله بما يعملون محيط ﴾ ، ﴿ والله غالب على أَمره ولكنَّ أَكثر الناس لا يعلمون ﴾ ، وهو الهادي إِلى سواء السبيل .

رحمةٌ للأُمَّة

مشهور بن حسن

سورة الأنفال يدور موضوعها كلُّه ، وتلتقي آياتُها جميعًا على إرجاع الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ ، فلا تكاد تخلو آية من آياتها من هذا الموضوع ، يقول الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله ... ﴾، ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحقِّ ﴾ ، ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ... ﴾ ، ﴿ وما جعله الله إلا بشرى ... ﴾ ، ﴿ فلم تقتلوهم ولكنَّ الله قتلهم ﴾ ، ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة ... ﴾ ، ﴿ وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى ﴾ ، وغيرها كثيرٌ جدًّا .

وسورة الأنفال جاءت عَقِبَ سورة الأعراف ، والأولى مبشِّرة بالنَّصر والغنيمة ، والثانية منذرة ، وفيها بيانٌ لهلاك الأمم التي حادت عن شريعة ربها ، وتلبَّست بالتَّرف والنَّعيم والظلم وأكل أموال الناس .

وسورة الأنفال تناولت أحداث غزوة بدر بإسهاب ، وجاءت فيها نداءاتٌ إلهيةٌ للمؤمنين ، وأوّلُ نداءٍ فيها : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا فلا تولُّوهم الأدبار ﴾ والأخير منها فيه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾.

فانظر أَخي القارئ - رعاك اللهُ وهداك - كيفَ بدأَ اللهُ سبحانَه وتعالى النِّداءاتِ للمؤمنينَ بالتحذيرِ من الفرارِ ، وختمها بالثباتِ أَمام الأَعداء .

ومن بين النداءات التي في هذه السورة قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتَوَلَّوْا عنه وأنتم تسمعون ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسولِ إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ، وقوله

تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتخونوا الله ورسوله ﴾ ، فطاعة الله والرسول مع الاستجابة وعدم الخيانة تثمر التقوى التي تتحصل بها البصيرة ، وهذا ما جاء في النداء قبل الأخير ، وهو قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنْ تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ .

ومن الجدير بالذكر أن هذا من أهم مقومات الحياة التي يتمتع بها المطيع والمستجيب لله ورسوله ﷺ ، فهي حياة أساسها التقوى ، وثمرتها البصيرة والفرقان بين الحق والباطل ، ومتى قامت حياةُ الناس على ذلك ، فهم بعيدون كلَّ البُعد عن سخط الله وعذابه ، وهذا ما ذكره الله لنا في هذه السورة صراحة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ فالعذاب مرفوع عنا مادام رسول الله ﷺ فينا وإن لم يكن بيننا ، وذلك من خلال طاعته والاستجابة لماورد في سنّته بخلافِ من لم يستجب أو كذَّب وطغى ، وردّ على رسول الله ﷺ سنته ، فهو مهدّد بالعذاب والأخذ .

وقد حفظت لنا كتب أهل العلم أَمثلةً تدل على ما ذكرناه ، نقتصر منها على الآتي :

✹ قال ابن حجر عن بعض المحدّثين :

إنه رحل إلى دمشق لأخذ الحديث عن شيخٍ مشهورٍ بها ، فقرأ عليه جملة ، لكنه كان يجعل بينه وبينه حجابًا ، ولم ير وجهه ، فلما طالت ملازمتهُ له ، ورأى حرصَه على الحديث ، كشف له السِّتر ، فرأى وجهه وجه حمار ، فقال له : احذر يا بُنيَّ ! أن تسبق الإمام ، فإني لما مرَّ بي في الحديث استبعدتُ وقوعه ، فسبقتُ الإمام ، فصار وجهي كما ترى[1].

وأسند النووي إلى أبي يحيى زكريا بن يحيى السَّاجي قال : كنا نمشي في أَزقَّةِ

---

(١) « فتح الملهم بشرح صحيح مسلم » (٢ / ٦٤) .

البصرة إلى باب بعض المحدِّثين ، فأسرعتُ المشي ، وكان مع رجلٍ منهم ماجنٌ في دينه ، فقال : ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لاتكسروها ! كالمستهزئ ، فما زال في موضعه حتى جفت رجلاه وسقط ، ثم قال : « قال الحافظ عبدالقادر - أي : الرُّهاوي - : إسناد هذه الحكاية كالواحد ، أو كرأي العين ، لأنَّ رواتَها أعلام أئمّة » .

ثم أسند إلى أبي داود السجستاني قال : « كان في أصحاب الحديث رجل خليع ، إلى أن سمع بحديث النبي ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع ، فجعل في عقبيه مسامير حديد ، وقال : أريد أن أطأ أجنحة الملائكة ، فأصابته الآكِلَةُ في رِجْلَيْهِ » .

وقال : « وذكر الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل التَّيمي -رحمه الله- في كتابه « شرح صحيح مسلم » هذه الحكاية، فيها: وشُلَّتْ رِجْلاه ويداه وسائرُ أعضائه.

قالَ : وقرأتُ في بعضِ الحكاياتِ : أَنَّ بعضَ المبتدعةِ حين سمعَ قولَ النبيِّ ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ، فإنه لا يدري أين باتت يداه » ، قال ذلك المبتدع على سبيل التَّهكُّم : أنا أدري أين باتت يداي : في الفراش ، فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه » .

قال التيمي : « فليتَّقِ المرء الاستخفاف بالسُّنن ، ومواضع التوفيق » ، فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما »[1].

أرأيت أخي القارئ ، كيف أن الله عزَّ وجلَّ يعذِّب من لم يستجب لرسوله ﷺ ، ويستهزأ بسنّته !

وكذلك فإن معنى قوله تعالى : ﴿ وما كان الله معذبهم ﴾ أي : مثبتًا وصف تعذيبهم بحيث يدوم، ﴿ وهم يستغفرون ﴾ أي: يطلبون الغفران بالدُّعاءِ، أو يوجدون

---

(١) « بستان العارفين » (ص ٥٠) .

هذا اللفظ فيقولون : أَستغفر الله ، فإن لفظه وإن كان خبرًا فهو دعاء وطلب ، فوجوده ﷺ في قوم بشخصه ، أو سنَّته أبلغ من نفي العذاب عنهم ، كما تقول : ما كنتُ لأضربك وأنت تطيعني .

وفي هذا حث عظيم للتمسُّك بسنّته ﷺ أَو كثرة الاستغفار، وبيان ما في ذلك في النعمة والرَّغبة ، وهذان أمانان للأُمَّة المحمدية ، فهي بهما باقية ، وبسببهما مرحومة .

المُؤمِنُ مُفتَّنٌ

علي بن حَسَن

صَحَّ عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « إِنَّ المُؤْمنَ خُلِقَ مُفَتَّنًا تَوابًا نَسَّاءً ، إذا ذُكِّرَ ذَكَرَ »(١).

فهذا حديثٌ يُبَيِّنُ صفاتٍ للمؤمنين ، تُلازِمُهم ولا تُفارقُهم ، تُصيبُهم ولا تُحْجَبُ عنهم ، يتلبَّسونَ بها ولا يبتعدون عنها :

فالمُفَتَّنُ هو المُمْتَحَنُ الَّذي فُتِنَ كثيرًا ، والمُراد : مُمْتَحَنًا يمتحنُه الله بالبلاء والذنوب مرَّةً بعد أُخرى (٢).

فالفتنُ تزيدُهُ إِيمانًا ، وتُقَوِّي يقينَه ، وتبعثُ فيه رُوحَ الصِّلةِ المستمرّةِ باللهِ جَلَّ في عُلاه ، لأَنَّه بضعفهِ يعرفُ قُوَّةَ الله ، وبعجزه يعرفُ جبروتَ ربِّه .

وقد وردَ في « الصحيحين » أَنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مثل المؤمن كالخامة من الزرع ؛ تُفَيِّؤُها الريحُ مرّةً ، وتَعْدِلها مرّةً ، ومَثَلُ المُنافقِ كالأَرْزَةِ لا تزالُ حتّى يكونَ انْجِحافُها مرّةً واحدةً » .

نعم ؛ هذه صِفةُ المؤمن بإِيمانهِ الحقِّ ، وتوحيدهِ الخالص ، والتزامهِ الصحيح .

و« **التوَّاب النَّسِيُّ** » : هو الذي « يتوبُ ثم ينسى ثم يتذكّر فيتوب »(٣)؛ يُحقِّق

---

(١) ترى تخريجه في « السلسلة الصحيحة » (٢٢٧٦) .

(٢) « فيض القدير » (٥ / ٤٩١) .

(٣) « فيض القدير » (٥ / ٤٩١) .

في نفسِهِ بتوبتِهِ صفةً من صفاتِ الباري جَلَّ شأْنُه ، وهي « الغَفَّار » ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تاب وآمنَ وعَملَ صالحًا ثمّ اهتدى ﴾ .

و« **إِذا ذُكِّر ذَكَرَ** » : إذا ذُكِّر بالطاعةِ ثَابَ إليها ...

وإِذا ذُكِّر بالمعصيـةِ تاب منها ...

وإِذا ذُكِّر بالصـواب أقام عليه ...

وإِذا ذُكِّر بالخَطَأ جانَبَه وفارقَه ...

... لا يستكبر ، ولا يتعاظمُ ، ولا يفتخرُ ، ولا يتعالى ...

بل يَذلُّ لإِخوانِهِ ، ويَلِينُ لأَصحابِهِ ، ويتلطَّفُ مع أَحبابِهِ ، لأَنَّه يعلمُ أَنَّ هذا هو سبيلُ أَهل الحقِّ ، وطريقُ المؤمنين الصالحين ؛ مَعَ أَنفسِهم بصدق الباطن وصلاح الظاهر ، ومع غيرهم بِطِيب المَعْشَر ، وحُسْن الخُلُق ، مُتأَسِّيًا بالقدوة التامَّةِ ، والأُسوةِ الكاملةِ رسولنا محمدٍ ﷺ الذي وصّاهُ ربُّه بقولِهِ : ﴿ فَبِمَا رحمةٍ مِن اللهِ لِنْتَ لَـهُم ... ﴾ .

هذه صِفةُ المؤمن ، وهذا هو صراطُ حياتِهِ ، ونهْجُ سلوكه ...

كلمة التوحيد : فضلها ومعناها

الشيخ محمد بن صالح العُثيمين

الشهادتانِ شهادةُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلّا الله ، وأَنَّ محمداً رسول الله ، هي مُفتاحُ الإِسلامِ ، ولا يُمكنُ الدخولُ إِلى الإِسلامِ إِلّا بها ، ولهذا أَمرَ النبيُّ ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إِلى اليمنِ أَن يكونَ أَوّلَ ما يدعوهم إِليه شهادة أَن لا إله إِلّا الله ، وأَنَّ محمداً رسولُ اللهِ .

فأَمّا الكلمةُ الأُولى : « شهادةُ أَن لا إِلٰه إِلّا الله » ؛ بأَن يعترفَ الإِنسانُ بلسانِه وقلبِه بأَنّه لا معبودَ بحَقٍّ إِلّا الله عزَّ وجلَّ ؛ لأَنَّ إِلٰه بمعنى مأْلوه ، والتأَلّه : التعبُّد ، والمعنى أَنّه لا معبودَ بحقٍّ إِلّا الله وحدَه ، وهذه الجملةُ مشتملةٌ على نفي وإِثبات ، أَمّا النفيُ فهو « لا إِلٰه » ، وأَمّا الإِثباتُ ففي « إِلّا الله » ، والله « لفظ الجلالةِ » بدل من خبر « لا » المحذوف ، والتقدير « لا إِله إِلّا الله » ، فهو إِقرار باللسان بعد أَن آمنَ به القلبُ بأَنّه لا معبودَ بحقٍّ إِلّا الله عزَّ وجلَ ، وهذا يتضمنُ إِخلاصَ العبادةِ للهِ وحدَه ، ونفيَ العبادةِ عمّا سواه .

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمةِ « حقّ » يتبيّنُ الجوابُ عن الإِشكالِ الَّذي يوردُه كثيرٌ من الناسِ وهو : كيفَ تقولونَ : لا إِلٰه إِلّا الله مع أَنَّ هناك آلهة تعبدُ من دونِ الله ، وقد سمّاها الله تعالى آلهة ، وسمّاها عابدُها آلهة ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فما أَغنت عنهم آلهتُهم الَّتي يدعونَ من دونِ اللهِ من شيءٍ لّما جاءَ أَمر ربّك ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ ولا تجعل مع اللهِ إِلٰهاً آخرَ ﴾ ، فكيفَ يمكنُ أَن نقولَ : لا إِلٰه إِلّا اللهُ مع ثبوت الألوهيّة لغيرِ الله عزَّ وجلّ ؟! وكيفَ يمكنُ أَن نثبتَ الأُلوهيّة لغيرِ الله عزَّ وجلَّ والرسل يقولون لأَقوامِهم : ﴿ اعبدوا اللهَ ما لَكُم مِنْ إِلٰهٍ غيرُه ﴾ ؟!

والجوابُ على هذا الإشكالِ يتبيّنُ بتقديرِ الخبر في (لا إله إلّا اللهُ) فنقول : هذه الآلهةُ الّتي تعبدُ من دونِ اللهِ هي آلهةٌ ؛ لكنّها آلهةٌ باطلةٌ ليست آلهةً حقّةً ، وليس لها من حقِّ الألوهيّةِ شيءٌ ، ويدلُّ لذلكَ قولُه تعالى : ﴿ ذلك بأَنَّ اللهَ هوَ الحقُّ وأَنَّ ما يدعونَ من دونِه الباطلُ وأَنَّ اللهَ هو العليُّ الكبيرُ ﴾ ، ويدلُّ لذلك أَيضاً قولُه تعالى : ﴿ أَفرأيتُم اللاتَ والعزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى أَلَكم الذكرُ وله الأُنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هي إلّا أَسماء سمّيتمُوها أَنتم وآباؤكم ما أَنزلَ بها من سلطان ﴾ ، وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام ﷺ : ﴿ ما تعبدونَ من دونِه إلّا أَسماءً سمّيتموها أَنتم وآباؤكُم ما أَنزلَ اللهُ بها من سُلطان ﴾ .

إذن فمعنى : « لا إله إلّا الله » لا معبودَ بحقٍّ إلّا الله عزَّ وجلَّ ، فأَمّا المعبوداتُ سواه فإنَّ أُلوهيتَها الّتي يزعمها عابدها ليست حقيقةً ، أَي : أُلوهيّة باطلة ، بل الأُلوهيّة الحقّ هي أُلوهيّة اللهِ عزَّ وجلّ .

أَمّا معنى شهادة « أَنَّ محمداً رسولُ اللهِ » فهو الإقرارُ باللسانِ والإيمانِ بالقلبِ بأَنَّ محمدَ بن عبداللهِ القرشيَّ الهاشميَّ رسولُ اللهِ عزَّ وجل إلى جميعِ الخلقِ من الجنِّ والإنسِ كما قالَ الله تعالى : ﴿ قُل يا أَيُّها النَّاسُ إنّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الّذي له ملكُ السمٰواتِ والأَرضِ لا إله إلّا هو يحيى ويميتُ فآمنوا باللهِ ورسولِه النبيِّ الأُميِّ الّذي يؤمنُ باللهِ وكلماتِه واتبعوه لعلّكم تهتدون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ تباركَ الّذي نزّلَ الفرقانَ على عبدِه ليكونَ للعالمينَ نذيراً ﴾ ، ومقتضى هذه الشهادةِ أَن تصدّقَ رسولَ الله ﷺ فيما أَخبر ، وأَن تمتثلَ أَمرَه فيما أَمر ، وأَن تجتنبَ ما عنه نهى وزجر ، وأَن لا تعبدَ اللهَ إلّا بما شرعَ ، ومقتضى هذه الشهادةِ أَيضاً أَن لا نعتقدَ أَنَّ لرسولِ الله ﷺ حقّاً في الربوبيّةِ وتصريفِ الكونِ ، أَو حقّاً في العبادةِ ، بل هو ﷺ عبدٌ لا يُعبد ، ورسولٌ لا يكذّبُ ، ولا يملكُ لنفسِه ولا لغيرِه شيئاً من النفعِ أَو الضرِّ إلّا ما شاءَ اللهُ كما قالَ اللهُ تعالى : ﴿ قل لا أَقولُ لكم عندي خزائنُ اللهِ ولا أَعلمُ الغيبَ ولا أَقولُ لكم إنّي مَلَكٌ إنْ أَتبعَ إلّا ما يوحي إليّ ﴾ ، فهو عبدٌ مأمورٌ يتبعُ ما أُمرَ به ، وقال الله تعالى : ﴿ قل إنّي لا أَملكُ لكم ضرًّا ولا

رَشَداً قل إِنِّي لن يجيرني من اللهِ أَحدٌ ولن أَجدَ مِنْ دونِه مُلتحداً ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ قل لا أَمْلِكُ لنفسي نفعاً ولا ضرّاً إِلّا ما شاءَ اللهُ ولو كنتُ أَعلمُ الغيبَ لا ستكثرتُ من الخيرِ وما مسّني السوءُ إِن أَنا إِلّا نذيرٌ وبشير لقومٍ يؤمنونَ ﴾ ، فهذا معنى شهادةِ (أَن لا إِلٰه إِلّا الله وأَنَّ محمداً رسولُ الله) .

وبهذا المعنى تعلمُ أَنّه لا يستحقُّ العبادةَ لا رسول الله ﷺ ، ولا مَن دونَه من المخلوقين ، وأَنَّ العبادةَ ليست إِلّا لله تعالى وحدَه : ﴿ قل إِنَّ صلاتي ونُسُكي ومحياي ومماتي للهِ ربِّ العالمينَ لا شريكَ لهُ وبذلكَ أُمرتُ وأَنا أَوّلُ المُسلمين ﴾ ، وأَنَّ حقّه ﷺ أَن ننزلَه المنزلةَ الَّتي أَنزلهُ اللهُ تعالى إِيّاها ، وهو أَنّه عبدالله ورسولُه صلوات الله وسلامُه عليه .

وعلى وَفْقِ ما بيّنْتُ ؛ فإِنَّ كلمةَ « لا إِلٰه إِلّا الله » تشملُ جميعَ أَنواعِ التوحيدِ كلِّها ، إِمّا بالتضمُّنِ وإِمّا بالالتزامِ ، وذلك أَنَّ قولَ القائل : « أَشهدُ أَن لا إِلٰهَ إِلّا اللهُ » يتبادرُ إِلى الذهنِ أَنَّ المرادَ بها توحيد العبادةِ - الَّذي يسمّى توحيدَ الأُلوهيّة - ، وهو متضمّنٌ لتوحيدِ الربوبيّةِ ؛ لأَنَّ كلَّ من عَبَدَ اللهَ وحدَه ، فإِنّه لن يعبدَه حتّى يكونَ مقرّاً له بالربوبيّةِ ، وكذلك متضمنٌ لتوحيدِ الأَسماءِ والصفاتِ ؛ لأَنَّ الإِنسانَ لا يعبدُ إِلّا من علم أَنّه مستحقٌّ للعبادةِ ، لما له من الأَسماءِ والصفاتِ ، ولهذا قالَ إِبراهيمُ لأَبيه : ﴿ يا أَبتِ لم تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يبصرُ ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ، فتوحيدُ العبادةِ متضمّنٌ لتوحيدِ الربوبيّةِ ، وتوحيدِ الأَسماءِ والصفاتِ .

ثمَّ إِنَّ بعضَ الناسِ يقول : إِنَّ معنى « لا إِله إِلّا الله » إِخراجُ اليقينِ الفاسدِ على الأَشياءِ ، وإِدخالُ اليقين الصادقِ على اللهِ ؛ أَنّه هو الضارُّ والنافعُ والمحيي والمميتُ ، وكلُّ شيءٍ لا يضرُّ ولا ينفعُ ، وأَنَّ اللهَ هو الَّذي وضعَ فيه الضرّ والنفع !! وقولُ هذا القائلِ قولٌ ناقصٌ ، فإِنَّ هذا المعنى من معاني « لا إِلٰه إِلّا الله » ، ومعناها الحقيقي الَّذي دعا إِليه رسول الله ﷺ ، وكفر به المشركون أَنّه لا معبودَ بحقٍّ إِلّا الله ، فالإِلٰه بمعنى مفعول ، وتأتي فعّال بمعنى مفعول ، وهذا كثير ، ومنه فراش بمعنى مفروش ، وبنّاء

بمعنى مبنيّ ، وغرّاس بمعنى مغروس ، فإلٰه بمعنى مألوه ، أَي : الَّذي تألهُهُ القلوبُ وتحبُّه وتعظمُه ، ولا يستحقُّ هذا حقًّا إلّا الله ، فهذا معنى لا إلٰه إلّا الله .

وقد قسّمَ العلماءُ التوحيدَ - كما سبقَ - إلى أَقسامٍ ثلاثة : ربوبيّة ، وأُلوهيّة ، وأَسماء وصفات ، فتوحيدُ الربوبيّة هو : إفرادُ الله سبحانه بالخلْقِ والملكِ والتدبيرِ ، وتوحيدُ الأُلوهيّة هو : إفرادُ الله سبحانه بالعبادةِ ، وتوحيدُ الأَسماءِ والصفاتِ هو : إفرادُ اللهِ بما يجبُ له من الأَسماءِ والصفاتِ بأَن نثبتَها للهِ تعالى على وجهِ الحقيقةِ من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ .

وقد يقولُ البعضُ إنَّ هذا التقسيمَ للتوحيدِ بدعة [١] ! ولكن نقول بتتبع النصوصِ الواردةِ في التوحيدِ وجدناها لا تخرجُ عن هذه الأَقسامِ الثلاثة ، والاستدلالُ المبنيُّ على التتبعِ والاستقراءِ ثابتٌ حتّى في القرآنِ ، كما في قولِه تعالى : ﴿ أَفرأيتَ الَّذي كفرَ بآياتِنا وقال لأُوتينَّ مالاً وولداً أَطّلعَ الغيبَ أَم اتخذَ عندَ الرحمنِ عهداً ﴾ ، والجوابُ : لا هذا ولا هذا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ كلّا سنكتبُ ما يقول ﴾ .

وبعضُ المتكلمين قالوا : التوحيد أَن نُومنَ أَنَّ الله واحدٌ في أَفعالِه لا شريكَ له ، واحدٌ في ذاتِه لا جزءَ له ، واحدٌ في صفاتِه لا شبيهَ له ، وهذا تقسيمٌ قاصرٌ أَيضاً .

وعليه ؛ فإنَّ أَوَّلَ واجبٍ على الخلقِ ، وأَوّلَ ما يُدعى الخلقُ إليه هو كلمةُ التوحيدِ ؛ وقد بيّنه النبيُّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثَه لليمنِ فقالَ له : « إنّك تأتي قوماً أَهل كتاب ، فليكن أَوّلَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أَن لا إلٰه إلّا الله ، وأَنَّ محمداً رسولُ الله » [٢] .

فهذا أَوّلُ واجب على العبادِ أَن يوحدوا الله عزَّ وجلَّ ، وأَن يشهدوا لرسولِه ﷺ ، يتحققُ الإخلاصُ والمتابعةُ اللذان هما شرطٌ لقَبولِ كلِّ عبادة .

---

(١) للأَخ الشيخ الدكتور عبدالرزاق بن عبدالمحسن العباد كتاب مستطاب فيه دحض هذه الشبهة وتفنيدها سمّاه : « القول السديد في الرّد على من أَنكر تقسيم التوحيد » فراجعه غيرَ مأْمور ، وانظر لزاماً (**الأَصالة**) العدد الرابع صفحة ٢٣ مقال أَقسام التوحيد (**الأَصالة**) .

(٢) متفق عليه .

في فقه الدَّعوة

أحمد سَلام

الدعوة لغةً : ماتدعو إليه ، كالتوحيد ، والسنة ، قال الله تعالى : ﴿ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء ﴾[١] .

قال الإمام القرطبي في تفسير آية الرعد : « قال ابن عباس وقتادة وغيرهما : لا إله إلا الله »[٢].

وقال سبحانَه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ﴾[٣].

قال الإمام ابن كثير في تفسيرِ هذه الآيةِ : « يقول الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقه ومسلكه وسنّته ؛ وهي الدعوة إِلى شهادة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... »[٤].

والدعوة كذلك هي فعل الداعية ، كدعوته إلى الدين أو الصلاة .

والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء ، قال الله سبحانه : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إِذا أنتم تخرجون ﴾[٥] .

والدعوة : دعوة الرجل صاحبه ، أي : استدعاءه ، قال في « القاموس » :

---

(١) الرعد : (١٤) .

(٢) يوسف : (١٠٨) .

(٣) « الجامع لأحكام القرآن » (٩ / ١٩٧) .

(٤) « تفسير القرآن العظيم » (٢ / ٤٩٥) .

(٥) الروم : (٢٥) .

« وهو منّي دعوة الرجل أي : قدر ما بيني وبينه ذاك »[١]. أي : قدر ما تبلغه الدعوة .

و« الدعوة » : تستخدم في الدعوة إلى الخير والحث عليه ؛ وفي الترغيب في الشر وتزيينه ؛ قال الله تعالى لنبيه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ وقال عن إبليس : ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتُكم فاستجبتم لي ﴾[٢].

فالأُولى : هي الدّعوةُ إلى التوحيد ، وهو جماعُ الخيرِ والدِّين ، والثانية : هي دعوةٌ إلى الطُّغيانِ والفسادِ .

فالدَّعوة الشَّرعيَّة هي فعل الداعية ، ومنهجه ، ودعوته إلى إقامة الدِّين وحفظه بالقول والإعداد ، والترغيب والترهيب ، والتربية ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر .

والدعوة تشمل دعوةَ غير المسلمين إلى التوحيد ، ودعوة المسلم الجاهل أو المقصر والمنحرف ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾[٣].

فكلمة (الخير) ومثلها كلمة (المعروف) تجمعان كل ما جاء به الإسلام من اعتقاد وفريضة وفضيلة ، فكل واحدة منهما تجمع أصول التوحيد وفروعه .

وكلمة (المنكر) تجمع كل المحرمات التي جاء الإسلام لإزالتها ، من الشِّرك والبدع والمعاصي والرذائل .

فالآية تشمل الدعوة إلى الدين وإقامته وحفظه ، وإزالة الشرك والمنكرات ، وهذا يشمل الأصول والفروع ، وكل ذلك يشمله معنى الدعوة التي كُلِّفَتْ بها الأمة .

---

(١) القاموس المحيط (١٦٥٥) .

(٢) إبراهيم : (٢٢) .

(٣) آل عمران : (١٠٤) .

ومن الأدلّة الظاهرة على ما ذكرت ؛ قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾[١].

فالآية توجّهت بالخطاب للمؤمنين ، وَأَمَرتْهم بالاستجابة لدعوة الله ورسوله التي تحييهم ، فالدعوة للمؤمنين ليست إلى أصل الإيمان يقينًا ، فهي دعوة إلى استكمال فعل الواجبات ، والثبات عليها ، وهجر المحرمات واجتنابها .

فالدّعوة إلى التّوحيد والإيمان من الدعوة ، والإعداد لإقامة مجتمعه وإعلاء كلمته دعوة ، والأمر بالصلاة والزكاة دعوة ، والدعوة إلى لزوم منهج السلف دعوة ، والدعوة إلى الفضائل الواجبة والمندوبة دعوة ، والنهي عن الشرك وعبادة غير الله دعوة ، والنهي عن الكبائر والمعاصي دعوة ، والترهيب من فعل البدعة ومخالفة منهج السلف دعوة ، وكذلك الترهيب عن الرذائل المكروهة والشُّبهات دعوة .

وإذا أردنا وضع تعريف للدعوة بالمفهوم السُّنِّي السلفيّ فلا بد من الرجوع إلى بعض التمهيدات والمقدِّمات :

١- بناءً على ما تبيَّن من أنَّ الدَّعوة هي ما يدعو إليه الدَّاعي ، وعلى أنَّ الدعوة الشرعية المفروضة تشمل الدعوة للدِّين كلِّه ، فلا بد من أن يشمل التعريف ذكر المصادر والضوابط الضرورية للإحاطة بأصول الدين وفروعه ، والكفيلة بتحقيقها على المقتضيات الشرعية المطلوبة .

ومصادر الدين الأولية عند أهل السنة واتباع السلف ، هي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وسنة أصحاب رسول اللهِ ﷺ ، وما كانوا عليه .

وطالب العلم لا يخفى عليه - إن شاء الله - أنَّ سُنَّة رسول الله ﷺ هي ترجمان القرآن ، ودليله المعصوم الذي لا يأتيه الباطل ، ولا تتعلق به الأوهام ، وأن سنة الصحابة رضوان اللهُ عليهم تكمل تفسيرًا وتفصيلًا وتجديدًا معنى القرآن ، ومعاني سنة

---

(١) الأنفال : (٢٤) .

رسول الله ﷺ .

وبهذا نستحضر أن الدعوة السلفية هي : الدعوة إلى كتاب الله ، وإلى سنة رسوله ﷺ ، وإلى ما كان عليه الصَّحابة .

٢ – وبناء على ما نعلم مِن أن اتباع منهج الكتاب في الدعوة ، واتباع منهج رسول الله ﷺ في الدعوة ، وكذلك اتباع منهج أصحاب رسول الله ﷺ في الدعوة ، واجبٌ مفروضٌ ، لا تتحقق الهداية ولا تَبْرَأُ الذمة بغيره ، فلا بد من أن نقيد الدعوة إلى الله بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف ، لنسير على هدى الكتاب والسنة ومنهج الصحابة [1].

فالفرق المبتدعة لم تضل إلا لمخالفتها منهج رسول الله ﷺ ، وأصحابه في تلقي الدين ، والعمل به ، والدعوة إليه ، عندما تأولت القرآن على خلاف سنة رسول اللهِ ، وسنة أصحابه الذين اتبعوه .

وبهذا يمكن القول إن دعوةَ منهج السلف ، هي :

(الدعوة إلى سنة رسول الله ﷺ ، وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، على سنة رسول الله ﷺ ، وسنة أصحابه رضي الله عنهم) .

وإذا كانت الدعوة تعني الترغيب والحض ، والترهيب والزجر ، والتعليم والبيان فإن من أعظم مقاصدها ومعانيها ، مقصد التمكين للدين ، وإعلاء كلمته وسلطانه ، وذلك المقصد يمر ضرورة من خلال مطالب تمهيدية ضرورية ، أهمها :

التوحيد ، والعبودية ، والعبادات ، والتعليم ، والتربية ، والتكوين ، والمغالبة ، والابتلاء ، والتمكين ، ومعه تأتي ضرورة التحصين .

ففقه الدّعوة يشتملُ على هذا :

---

(١) لي كتاب بعنوان « ما أنا عليه وأصحابي » هو تحت الطبع ، فيه تفصيل هذا الإجمال ، يَسر الله صدوره والانتفاع به .

١- فقه التوحيد والعبادات .
٢- فقه التعليم وتبليغ الدعوة .
٣- فقه التربية .
٤- فقه التكوين .
٥- فقه المغالبة والابتلاء .
٦- فقه التمكين والتحصين .

وفقه الدعوة يعني :

١- فقه أحكام هذه المطالب في منهج السلف ، ومنه أحكام الوسائل المسخّرة لتحقيقها بتمييز الوسائل المشروعة عن الوسائل المحرمة ، فإن أكثر الانحرافات تأتي من خلل أحكام الوسائل ، والخلط بين المشروع منها والممنوع .

٢- فقه طرق تحقيق هذه المطالب في منهج السلف ، وهو ينقسم إلى نوعين :

الأول : يتعلق بموافقة هذه الطرق لمنهج السلف ، وعدم مخالفتها أصوله أو فروعه .

الثاني : يتعلق بمعرفة فعّاليّة هذه الطرق ، وصلاحيتها للوصول إلى المطالب ، وكذلك بإصلاح ما فيها من خلل ، وإكمال النّقص ، وتعهدها بالتحسين والتطوير ، واختيار الأنسب منها في الحالات المختلفة ، وهذا يأتي بعد الأول .

٣- فقه العمل وتحقيق المطالب ، ويدخل فيه :

- فقه المراحل ، بمعرفة اكتمالها ، وإمكان الانتقال إلى التالي منها ، ومعرفة سماتها ، ومتطلباتها وفرائضها الخاصة، وتحقيق التكيف مع هذه المتطلبات والفرائض .

- معرفة حجم التحديات والعقبات ، ومعرفة الوسائل والقدرات المكافئة لها . وتحديد الخطوات والإجراءات المواتية لها .

- فقه أسباب حفظ الطاقات وصيانتها ، وتوظيفها في الأعمال المناسبة ، فلا تتعرض للجمود أو الإهدار .

- فقه أسباب الاستمرار في العمل ، وعدم التراجع والتوقف ، ومعالجة المواقف الطارئة ، واستثمارها .

وبالتأمل في تعريف الدعوة السلفية ، نخرج بالفوائد التالية :

١- إنَّ دخول أي منهج أو جماعة أو عمل دعوي تحت إطار الدعوة السلفية ؛ هو رهن بموافقتها ضوابط السنة النبوية ، وسبيل الصحابة ، وهذا إنّما يكون بلزوم الدعوة إلى السُّنّة النَّبوية وسبيل الصَّحابة ، بما يوافق ذلك في الأدلة والمنهج .

٢- ولا يجوز أن نجعل لشيء من ذلك شيئًا من موجبات الدعوة السنية : ولاءً أوحُبًّا أو نُصْرَةً ، إلا بقدر ما تحمله من موافقة للسنة في دعوتها ومنهجها .

٣- ولا يعد نقدنا لمنهج ، او إنكارنا له ، أو تحذيرنا منه ، غيبةً أو مخالفة لحقوق الأخوة ، أو تفريقًا للصف ، ما دام النقد أو الإنكار متعلِّقًا بمخالفة السنة في أحكامها أو منهجها ، ومنضبطًا بكليات منهج السلف وفروعه في النصيحة والتّصويب وإنكار المنكر .

٤- لا يصح شرعًا إعطاء ولاء لمنهج أو دعوة ، قبل دراسته - أو دراستها - والتثبّت من مطابقته لمنهج السنة ، فإن ذلك من الاقتفاء بغير علم ، ومن التقحُّم في مسالك الردَّى .

من فوائد وثمرات فقه الدعوة :

١- التعريف بضوابط الدعوة السنية ، ومقاصدها ، وخصائصها ، وإزالة ما لحقها من أخطاء ، وشبهات ، ومغالطات تمنع من فهمها وتبيُّنُ سبيلها ، وتُعيقُ الانتفاع بها .

٢- التمهيد لتحقيق تكامل المسار العملي للدعوة عند دُعاة السنة ، وتأصيل هذا المسار .

٣- الإسهام في تصحيح مفاهيم وطرق الدعوة المعاصرة عند المسلمين ، والتمهيد للوصول إلى قاعدة دعوية ، تجتمع عليها أكثرية العاملين ، كما اجتمعوا على منهج العقيدة السلفية ، ومنهج الأحكام ، بعد تردُّد وتشكك .

٤- التمهيد لاستئناف الحياة الإسلامية التي يطلبها جميع الدُّعاة ، لرفع الإثم ، وإقامة الفرائض ، وليكون الدِّينُ كلُّه لله .

لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟!

محمد موسى نصر

أمر الله عباده المؤمنين أن يقرنوا بين القول والفعل وبين العلم والعمل ، فما من آية نادى الله فيها المؤمنين إلا ودعاهم إلى العمل المقتضي للعلم بذلك .

كان العلم المجرد من العمل من سَنَن وأخلاق المغضوب عليهم ؛ من أجل ذلك قال بعضُ علماء السلف : من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شبه بالنصارى .

فعلم بلا عمل كعمل بلا علم ، وهما أَمران متلازمان ، وهما جزء لايتّجزأ من عقيدة المسلم .

ومن أبرز سمات العلماء الربانيين كونهم يخشون الله رب العالمين ، كما قال تعالى : ﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ ، وقال : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾

وقد مقتَ اللهُ الذين يقولون ما لا يفعلون عربهم وعجمهم ؛ فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .

وهذا الوعيد في شأن آحاد المؤمنين ، أما خاصتهم من علماء وغيرهم ، فالوعيد أشدُّ ؛ لأن الناس يقتدون بهم في الخير والشَّر ، لذلك أَوَّلُ مَنْ تُسعَّر بهم النار ثلاثة : أوَّلهم عالمٌ لم يعمل بعلمه ولم يتق الله فيما أنعم الله به عليه ، فلم يُخلص فيه العمل لله .

وعالم بعلمه لم يعملن معذَّبٌ قبل عبَّاد الوثن

وقد ثبت في « الصحيحين » عن رسول الله ﷺ أنه قال في شأن هؤلاء :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لَكَ ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى ، كنتُ آمرُ بالمعروف ولا آتيه ، وأَنهى عن المنكر وآتيه » .

فانظر – رحمك الله – إلى سوء عاقبة أولئك الذين لا يلتزمون بالشعارات التي يرفعونها ، ولا يطبقون المثل العليا التي يدعون لها بل يكونون أمثال سوء والعياذ بالله . وما أسوأَ الشيخَ المفتون الذي يسوِّغُ لنفسه الرُّخص ، ويتأوّل لنفسه الفواحش ، بينما نراه يحرمها على غيره أشد تحريم !!

أَليس الجدير بهؤلاء المشايخ أن يكونوا هداةً مهديين ، وأن يكونوا أُسوة حسنة لغيرهم ، فيكونوا أئمة هدى ومنارات دجى وقد بوأهم الله مركز الصدارة والريادة ، يوم كانوا ورثة الأنبياء – حقًّا – بعلمِهم الشرعي ؟! لكن ما قيمة العلم الشرعي الذي لا يحمل صاحبه على الخشية والعمل والتقوى والورع والإخلاص لله على كل حال ؟!

لذلك بيَّن الرسول ﷺ حال الأمة حينما تفتقد العلماء العاملين المقتدى بهم ، الذين بالحق قاموا ، وبه يعدلون ، الذين ورثوا علم النُّبوة حقًّا ، وكانوا مدرسة قرآنية تمشي بين الناس إِمامهم في ذلك الأسوة الحسنة صاحب المقام المحمود الذي كان خلقه القرآن كما وصفته عائشة رضي الله عنها .

قال ﷺ : « إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأَضلُّوا » متفق عليه .

فما أحوج الأمة اليوم إلى القدوة الحسنة التي تتربي الأمة على أَخلاقهم وسمتهم وسننهم ، وحينما فقدت الأمة القدوة الحسنة بين الأحياء ، قَلَّ فيها الخير ، وكَثُر فيها الشَّر ، .وعصفت بها الفتن ، ولا مخرج لها منها إلا أن تتبع سبيل المؤمنين وإمامهم مجمدًا ﷺ ، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله .

والله من وراء القصد .

أضواء ... حول قضية المجاز الحلقة الأولى

مصطفى عيد الصَّياصِنة

... كثيرٌ من الناس ، لا يزالون - إلى اليوم - يُصِرُّون على القول بتقسيم الكلام القسمة المعروفة حقيقةً ... ومجازًا !!

وهم لا يفتؤون يرون أَنَّ المجازَ هو عبارة عن ذلك اللفظ الذي استُعمل في غير ما وضع له أَصلًا ، أَمَّا إذا هو استعمل فيما وضع له في أصل اللغة ، فإِنَّما هو الحقيقة ليس غير ... وتراهم - إذا أرادوا الوصول إِلى غاية الدقَّة في تعريفه - وضعوا له حدًّا يقول : « إِنَّه اللفظُ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ ، مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيِّ » ...

قالوا : فالأسد والحمارُ لفظان جُعلا في أصل وضعهما ، للدلالة على البهيمة المعروفة ، فهما - بهذا الاعتبار - حقيقة ، ثم إِنَّهما نُقلا عن أصل وضعهما اللذين كانا عليه إِلى معنى جديد ، للدلالة على الشجاع والبليد ، فأصبحا -بعد النقل - مجازًا ...

وكذلك العينُ والرأس ، هما حقيقة دالّانِ على العضوين المعروفين في الإنسان ، أَمَّا إذا استُعملا في غيرهما صارا مجازًا ، كأَن نقول : عين الشمس ، وعين الحقيقة ، وعين الماء ، والعين الذي هو الجاسوس ، وكذا رأس الدرب ، ورأْس المال ، ورأس الدولة ، ورأس الأمر ، ورأس الجبل ...

وقد حفَل القائلون بالمجاز بمثل هذه القسمة ، وما برحوا يدندنون حولها ، حتى

صار يُخيَّل إلى عامة الناس أَنَّها الحقيقة اللازمة التي لا بدَّ من الوقوف على دقائقها كي يستطيع أيُّ أحدٍ فهمَ كتاب الله تعالى وتفسير آياته ، وفهمَ كُنهِ لسان العرب ومراداتها الفهمَ الواضحَ السديد ...

هذا ، مع أَنَّ (مجازَهم) هذا لا يعدو أَنْ يكونَ سرابًا خادعًا وشبحًا موهومًا ، ليس له أدنى نصيب في عالم الحقيقة والعلم ، إذ هو وليدٌ لقيط ، أعجميُّ النشأة ، غريب المنبت ، مقطوع الأصل ، هجينُ الساق والفرع ...

إِنَّ أَحدًا من سلف هذه الأُمّة - المشهود لهم بكلِّ أَوجه الفضل والعلم - لم يسبق له وأن قال بأَنَّ في القرآن الكريم أَلفاظًا تُحمل على الحقيقة وأُخرى تُحمل على المجاز ، بل أَخذوها جميعًا على حقيقتها ، من غير تأويل أو تحريفٍ أو تجويز ، وما مقولةُ المجاز إِلَّا مقولة محدثة .. ، ابتدع القولَ بها وشنشن وطنطنَ فيها زمرةٌ أَعجميةُ اللسان والفهم والهوى ، ليسوا بحُجّة في اللغة أو الفقه أو التفسير ...

فالمجازُ - في حقيقة أمره وجوهره - ليس إِلَّا بدعةً اعتزالية كلاميّة ، دأبتْ طائفةٌ من رجال الاعتزال على وضع أسسها وتأصيل بوادرها ، وتوطيد دعائمها ، ما فتئوا يعزفون على وترها ، حتى انطلى أمرُها على عامة المسلمين ، فقال كثيرٌ منهم بقولهم ، وحذوا حذوهم في إقرارها ، والتنادي إلى تدارسها ، دون أن يتنبَّهوا إلى جملة الأخطار والمفاسد ، التي تلحق بجناب عقيدة التوحيد ، وقدسيّةِ كلام وحي الله المنزّل ، من جرَّاءِ الانحراف وراء هذه المقولة المذهلة ...

إنه لم يثبت عن أحدٍ من سلف هذه الأمة - صحابةً وتابعين - أنه قال بالمجاز ، أو ورد ذكرُ اسمه على لسانه ، كما لم يثبت مثلُ ذلك عن أحدٍ من أئمة الإسلام السابقين ، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والأوزاعي والثوري وابن عُيينة وأمثالهم ، ولا عن أحدٍ من علماء اللغة المتقدمين أيضًا ، كسيبويه وأبي عمرو بن العلاء والأصمعي والكسائي والفرّاء وأبي زيد الأنصاري ومَن في طبقتهم ...

إِنَّ الذين ابتدعوا القولَ بالمجاز ، زمرةٌ من المعتزلة وصيارفة علم الكلام ، لا أحد غيرهم ، ثم ردّد قولَهم طائفةٌ من علماء المتأخرين ، من الذين لم يفطنوا لبواعث المكيدة وأسرارها ...

ويأبى اللهُ إِلَّا أنْ يبعث في هذه الأمة ، من يتنبَّه إلى هذه البواعث والأسرار ، فكان أن ظهر من قال بِنفي المجاز عن القرآن الكريم ، كابن خويز منداد المالكي ، وداود ابن علي الأصبهاني ، وابن القاصّ الشافعي ، ومنذر بن سعيد البلوطي ، وأخيرًا الشيخ العلّامة محمد الأَمين الشنقيطي ، الذي ألف كتابًا ماتِعًا بعنوان : « منع جواز المجاز في المنزَّل للتعبُّد والإعجاز » .

بل وظهر من أنكر وجودَ المجاز في القرآن الكريم ولغة العرب بالكليّة ، كأبي إسحاق الإسفراييني ، وابن تيمية في « فتاويه » ، وتلميذه ابن القيّم في « الصواعق المرسلة » ، حيث عقد فصلًا مطوَّلًا بعنوان : « فصل في كسر الطاغوت الثالث الذي وضعته الجهميّة لتعطيل حقائق الأَسماء والصفات وهو طاغوت المجاز » ...

وقد ذكر فيه أكثر من خمسين وجهًا ، في إبطال حجج القائلين بالمجاز ، وكشف عواره ، وما له سيِّء الأثر على عقيدة المسلم ، وتوجيه آيات الله تعالى في كتابه العزيز .

وهناك كتاب – بين أيدي الناس اليوم – منسوب إلى الإمام ابن القيم ، وعنوانه « الفوائد المشوق إلى علوم القرآن » ، وهو كتاب نُسب إلى ابن القيم وليس له ، لمغايرة أسلوبه ومنهجه لمنهج ابنِ القيم أولًا ، ولقوله بالمجاز فيه وهو من أَشدّ منكريه ، والمطلعين على مفاسده وأَخطاره ثانيًا .

وممن حقّقَ القولَ في عدم صحةِ نسبةِ هذا الكتاب إلى ابن القيم ، الشيخ بكر ابن عبدالله أبو زيد ، وذلك في كتابه « التقريب لفقه ابن قيم الجوزية » ...

... أمَّا أولئك العلماء الذين درجوا على إثبات المجاز في القرآن واللغة – ومنهم

أَئمة أعلام و مشهود لهم بالفضل والعلم والصلاح – فإنَّ قولنا ببدعية القول بالمجاز ، لا يعني بحال أَنَّنا نُبَدِّعُهُم ، أو نطعنُ فيهم ، ونجرح في تقواهم وإخلاصهم في خدمة هذا الدين ، أو ننتقص من علمهم ، فهم عظام كبار ، أهلُ ورع وفضل ، غير أنَّ هذا لا يمنع من أن يردَّ اللاحقُ على السابق ، ويستدرك بعضًا مما خفي عليه ، ويعلن الوجهَ الذي يراه حقًا ، مادام الأمرُ لا يزال في حيّز الاجتهاد ، لا يتعدّاه إلى دائرة الثوابت والنصوص ، وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والإمام مالك وأحمد ابن حنبل ، أنهم قالوا : « ليس أحدٌ إلَّا يؤخذُ من قوله ويُترك إلَّا النبي ﷺ » .

هذا إضافة إلى أنَّ الكثيرَ منهم قد اكتفى بمتابعة غيره في هذه المسألة من غير أَنْ يُعملَ نظرَه الثّاقب في سبر أغوارها ، وتشخيص جوانبها ، والبحث عن ذيولها ، وملاحقة حيثياتها ، وما ينتجُ عن القول بها من مفاسد وأخطار ، وله في ذلك عذره ، فإنَّ عنده من الاهتمامات الأُخرى والمسائل الأخصّ ما يَشغله ...

... إنَّ من القواعد الشرعية المعتبرة لدى الجميع ، أَنَّ « درء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح » ، وأنَّ كثيرًا من مُستجدات الأمور والحوادث ، التي لم يرد النصُّ الصحيح الصريح بحرمتها أو كراهتها ، إنَّما يُصارُ إلى اعتماد شيء من هذه الأحكام حيالها « سدًّا للذريعة » وقطعًا لبوادر الفساد والشرّ قبل وقوعهما ، إذا كانت هذه المستجدات معبرًا يُوصِلُ إلى شيء من ذلك .

وللقول بالمجاز مفاسدُ لا تحصى ، في مجال جحد الأسماء وتعطيل الصفات ، وصرف كلام الوحي المقدس – إلهيًّا كان أُمَّ نبويًّا – عن مراده الواضح ووجهه الجليّ ، والتلاعب بالنصوص الشرعية وليّ أَعناقها ، بل وتوجيهها إلى غيرِ دلالاتها الحقيقيّة – الّتي ما جاءت تلكم النصوص إلّا لإبلاغ الناس بهذه الدلالات والمعاني ، وتعبيدهم بمقتضياتها – بما يفتحُ المجالَ رحبًا واسعًا ، أمام المتلاعبين بدين الله وشرعه ، أن يعيثوا كما يشاؤون ، ويمرحوا كيفما يريدون ...

لذا ، فإنَّ إغلاق باب القول بالمجاز ، وردع الناس عن الخوض فيه وتفتيق مسائله وتشقيق دقائقه ، تحقيقٌ لمصلحة عظمى ، ودرءٌ لمفسدة كبرى ، لا يكون الوصولُ إليه إلَّا بشيء من ذلك ...

(للبحث صلة)

دفاع عن أهل الحديث

سلطان بن محمد الشمّري

هذه قصيدة كتبتها ردًّا على الطاعنين بأَهل الحديثِ ، وعُلماء السنة ، وأَسأل الله أَنْ يوفِّقنا لما يحبُّه ويرضاه .

يا من بآخر كلِّ ليل ينزل ... ويقول هل من مستغيث يَسألُ
إِنّي وقفت بباب جودك سائلًا ... متذللاً ودموع عيني تهملُ
فاغفر وجاوز كلَّ سوء إِنني ... من زمرة لك بالسجود تذللوا
والله لو عرف المحبُّ خطيئتي ... لرأيته من بعد حبٍّ يجهلُ
أَو قُرِّنت بالراسيات إِساءَتي ... أَبصرتها من هولها تتزلزلُ
فلَئِنْ عقلت لأَبكينّ لما مضى ... من زهرة الأَعمار يوم أُسلسلُ
وَلأَشْدُدُنَّ على الأَنامل حسرة ... إِذ ليس غيرك يُرتجى ويؤمَّلُ
لكنني رُغْمَ الأَسى متمسّك ... بعقيدة الأَسلاف لا أَتحوّلُ
ولذاك أَرجو نيل ما قدمته ... عند الإِلٰه فإِنَّه لا يبخلُ
نَبِّئ سُمَيَّةَ أَنَّي قد عِفْتُها ... وغرامَها إِذ ليس مِثْلي يُخْذَلُ
إِذِ إِنني أَرسلت أَشعاري إِلى ... أَهل العقيدة مغرمًا أَتغزلُ
أَهل الحديث أُحبُّهم وأُحبُّهم ... وأُحبُّهم وبغيرهم لا أَقبلُ
نبئت أَنَّ أَبا جهالةَ عابهم ... تبّت يداه ورُضَّ منه المِفْصلُ

وعليه دائرة الإساءة كلّما ... ذكر المصلّون الإله وهلّلوا

يا جاهلًا أَوَما علمت بأنّهم ... أَهل الحديث وبالحديث تجمّلوا

ينفون عنه كلام أَذناب الأُولى [١] ... سلبوا الصفات كمالها أَو أَوّلوا

يا جاهلًا هم أَهل دينك عندما ... حاد الجميع عن الهدى وتحوّلوا

يا جاهلًا ماذا قرأت وما الّذي ... أَتقنت حتّى ترتضي وتُعدّلُ

اقبع مكانك لست من أَهل الهُدى [٢] ... ليس المجرِّح للرِّجال[٣] مؤهّلُ

يا ناقدًا إِنَّ الذين تحبُّهم ... مالوا عن الدرب السويّ وبدّلوا

أَوَما قرأت كلامهم عند استوى [٤] ... أَم أَنَّ عينك أَصبحت لا تعملُ

أَوَليس يجدر أَنْ تعظِّمَ قَدْرَهُم ... إِذ راغ [٥] يحمي ديننا ويُؤصِّل

ويبيّن القول السديد مُجَرَّدًا ... عن كلِّ رأي للضلالة يوصلُ

بل لم يكن بِدْعًا[٦] بهذا كلّه ... بل قبله كلُّ الأَئمّة أَصّلوا

سفيان والشعبيُّ أَحمدُ بعدهم ... آثارهم بيني وبينك تفصلُ[٧]

وابن الحسين ومالك وأَبو الفدا [٨] ... شهب بساحتك الجديبة تنزلُ

أَهل الحديث كما النجوم مكانهم ... ولهم على متن السحائب منزلُ

---

(١) الأولى : بمعنى الذين ، وهي لغة عند العرب .

(٢) الهدى هنا بمعنى العلم ، وفي الحديث « مثل ما بعثني الله من الهدى » أَي : العلم .

(٣) الرجال : أَي : علم الرجال والجرح والتعديل .

(٤) انظر – مثلاً – « تفسير الظلال » لسورة « طه » وسورة « الحديد » عند هذه الكلمة .. والله المستعان .

(٥) كلمة راغ تعني : بادر بخفة ، وقد امتدح به إِبراهيم بقوله : ﴿ فراغ ﴾ في موضعين من القرآن .

(٦) بدعًا : أَوّل ، وانظر « تفسير ابن كثير » عند قوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعًا من الرسل ﴾ .

(٧) وذلك مع القرآن والسنّة الصحيحة .

(٨) ابن الحسين : هو الإِمام الآجري ، ومالك : هو ابن أَنس ، وأَبو الفدا : هو ابن كثير رحمهم الله جميعًا .

يا ناقدًا هم تمرة الأَحباب هم ... في فمّ أَصحاب الضلالة حنظلُ
يا أَيُّها السلفيُّ كن متمسكًا ... بهُدى الرسول (عن الأَدلّة تسألُ)
واغضب لدينك ولْتكن ذا فطنة ... يضع الأُمور مكانها وينزّلُ
أَهلَ العقيدة أَخرجوا أَرماحكم ... وسيوفكم فالأَمر ليس يؤجّلُ
عضّوا على سنن الرسول وهديه ... وتأمّلوا فيما يقول تأمّلوا
وادعوا بجنح الليل أَكرم سيد ... وتنقّلوا جنح الظلام تنقّلوا
ولْتصبروا إِنَّ الحياة سريعة ... هذا نكفّنه وذلك يحملُ
رحم الإِلٰه مشايخي وأَحبّتي ... ما قام في ليل الدُّجى متنقّلُ

إِنَّ الدينَ يُسر

أَمَة اللهِ أُمّ مالك

كثيرًا ما يردِّد الناسُ هذه العبارة ، ولكنهم - في معظم الأحيان - لا يريدون بها مدح الإسلام أو تأليف القلوب نحوه ، ولكنهم يريدون بها تسويغَ أفعالهم التي تكون مخالفة للشَّرع ، فهي عندهم كلمة حق أُريد بها باطل .

وعندما يريد الفرد منا أن يُصلحَ ما يلمسه مخالفًا للشرع احتج المخالفون عليه بقولهم : « الإسلام دين يسر » ويَشرَعون في وضع الرخص التي تتفق وأهواءَهم ، ظانين بذلك أنهم أقاموا الحجَّة على من ينصحُهم باتباع الشَّرع من كتاب وسنة .

ولا بد لهؤلاء المخالفين أن يعلموا أن الإسلام « دين يسر » ولكن في اتباع ما أمر الله به ورسولُه عليه السلام ، وأن الإسلام « دين يسر » باتباع ما يسره الله لنا ورسوله ورخّصاه لنا حين الحاجة لهذه الرخص ، وعند وجود تحرّج من اتباع الأصل .

وأصلُ عبارة « إن الدين يسر » قطعةٌ من حديث نبوي شريف ، رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام : « إن الدين يسر ، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه ، فسدِّدوا وقاربوا ، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والرَّوحة وشيء من الدُّلْجة » .

وقد فسر عبارةَ « إن الدين يسر » الحافظُ ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه الفريد « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » (١ / ١١٦) قائلًا : « أي : دين الإسلام ذو يُسر ، أو سُمِّيَ الدِّينُ يسرًا مبالغة بالنسبة للأديان قبله ، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصرَ الذي كان على مَنْ قبلهم ، ومن أوضح الأمثلة له أنَّ توبتهم كانت بقتل أنفسهم وتوبه هذه الأمة بالإقلاع والعزم » ا.هـ

ولو نظرنا في الحديث بدقّة ونظرنا إلى ما بعد عبارة « الدين يسر » نجد أن

الرسول عليه السلام يرشدنا إلى أن المسلم يجب أن لا يتشدد في أمر عبادته ، فيتعدى على أمر الدين ، بأَن يبتكر ويُحْدِثَ في الدين ما ليس منه من أجل أجر أكثر ، كالثلاثة الذين أرادوا إحداث عبادات جديدة ؛ فقال أُحدُهم : لا أتزوج النساء ، وقال الآخر : أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : أقوم الليل كله ، فنهاهم الرسول عليه السلام عن ذلك ، وأرشدهم إلى أن يسدِّدوا في أعمالهم ما استطاعوا ، وأن يتقرَّبوا إلى الله بالعبادة التي فرضها الله عليهم ، وأن لا يُحْدِثوا في الدين ما ليس منه ، لأَنّهم لن يستطيعوا ذلك ، فلن يشادَّ الدينَ أَحدٌ إِلّا غلبَه .

فعبارة « الدين يُسر » تعني : أن دين الله الذي أنزله كله يسر بأحكامه وتشاريعه ولو تُرِك الأمر للإِنسان ليُحدِث فيه ما قدر أحدٌ على عبادة الله .

فإذا لم يجد المخالفون ما يقولونه بخصوص الحديث السابق هربوا إلى أحاديث أخر يحتجُّون بها على تسَاهلهم في أمور الدين .

ومنِ هذه الأحاديث قولُه عليه الصلاة السلام : « إن الله يحب أن تُوتى رخصه كما يكرة أن تؤتى معصيته » ، وفي رواية : « كما يحب أن تؤتى عزائمه » ، وأما الحديث الآخر فهو قوله عليه الصلاة والسلام : « يسِّرا ولا تعسِّرا ، وبشِّرا ولا تنفِّرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » ، رواه البخاري (٤ / ٢٦) ، ومسلم (٥ / ١٤١) .

والحديث الثالث قوله عليه الصلاة والسلام : « يسِّروا ولا تعسِّروا ، وبشِّروا ولا تنفِّروا » ، رواه البخاري (٧ / ١٠) .

أما الحديث الأول فيجب أن نعرف أن رُخَص الدين الإسلامي كثيرة ، منها : إِفطار الصائم عند سفره ، وقضاء المسبوق صلاته ، وقضاء الصلاة لمن نام أو سهى عنها ، وصيام من لا يجد الهدي في الحج للمتمتِّع ، والتيمم عند عدم وجود الماء أو عدم القدرة عليه ... وغيرها الكثير من الرخص التي لا تُستَخدم إلا عند التحرُّج من عمل الأصل .

ولا بد من الانتباه إِلى أن هذه الرخص هي من شرع الله عزَّ وجلَّ وسنّة رسوله

عليه الصلاة والسلام بإذنٍ من ربه تبارك وتعالى ، ولا دخل لأي مسلم – أيًّا كان – أن يأتي برخصة بدون دليل ، لأنه إحداثٌ في الدين ما ليس منه .

وتأمل أخي المسلم الآية الخامسة والثمانين بعد المئة من سورة البقرة ، وهي تتحدث عن الصوم ورخصة الإفطار لمن كان مريضًا أو على سفر ، ثم قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ ، فهذه الآية تبين مفهوم اليسر الرباني ، وهو أنه من عند الله وحدَه لا شريك له أو بتشريع من رسوله عليه السلام وَحْيًا من اللهِ سبحانَه ، وتُبين الآية أيضًا أن اليسر باتباع حكم الله تعالى لاشريك له وشريعته .

هذا بالنسبة لمفهوم الحديث الأول .

أما الحديثان الثاني والثالث ، فاحتجاج أهل الأهواء والمخالفات الشرعيّة بهما باطل وتحريف لأقوال الرسول ﷺ عن حقيقة معانيها وخروج بالنصوص عما أريد بها ، وتفسير الحديثين السابقين يتعلق بالدعاة للإسلام ، ففيهما يرسخ الرسول عليه السلام قاعدةً هامةً من قواعد أصول الدعوة لله وهي الدعوة باللين والرفق ، فأول ما يبدأ الدعاة حين دعوة الكفار البدء بالصلاة ثم الصيام ثم الزكاة ، ثم يوضّحون للناس سنة الرسول عليه السلام ، ثم يُبيّنون لهم ما هو واجب ومستحب ومكروه من الأعمال ، فإذا لاحظوا خطأً من الناس بسبب جهل أو نسيان فليصبروا وليدعو الناس بالرحمة والرفق واللّين ، قال تعالى : ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنتَ فظًّا غليظَ القلب لانفضّوا من حولك ﴾ . [آل عمران : ١٥٩] .

وبعد فهم تلك الأحاديث ، وتوضيح معنى الرُّخص والتيسير فيها أقول لهؤلاء الذين يحرفونها ويبدِّلون معانيها من أجل إشباع أهوائهم : اتقوا الله واتّبعوا ما أمركم واجتنبوا ما نهاكم عنه ، وكفاكم تحريفًا لسنة نبيه ﷺ ، واتقوا يومًا تُرجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت ، واتقوا يومًا تُحْرَمون فيه من ورود حوض النبي عليه الصلاةُ والسلام بما بدَّلتم في دين الله ، وحرفتم في سنته عليه السلام .

أرجو من الله الحي القيوم أن يهدينا وكافة المسلمين لاتباع كتابه وسنة نبيه، وأن يعلِّمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما يعلمنا ويقينا شر البدع والتحريف ، وشرَّ التغيير والتبديل .

ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

« تذكيرًا للخاصة ، وبيانًا للعامَّة »

محمد إبراهيم شقرة

ما أشد حاجةَ الأمَّةِ في كل زمانٍ ، أَن تُقيم بنيان حياتها - في عقيدتها وعبادتها ، وعاداتها ، وكلِّ شؤُونها - على الإسلام العظيم ، الذي بعث الله به نبيَّه محمَّدًا ﷺ ، وارتضاه لعباده ، وأمرهم بالدُّخول فيه ، والاستقامة عليه ، ووسم كلَّ من خالف عنه في أوامره ونواهيه ، أَو رضي لنفسه غيره ، أَو وجد في نفسه حرجًا منه - أَيَّ حرج - بما يستأْهِلُه من كفرٍ ، أَو فسقٍ ، أَو ظلمٍ ، فبعد أَنْ هداهم إِلى القصد فيه ، وأبانَ لهم المحجَّة ، وأوضح لهم معالم الطريق بما شرع على لسانِ نبيِّه عليه الصَّلاة والسلام ، فإنه لم يبق لهم حجَّةٌ يلقون بها ربَّهم يوم القيامة .

ومن جميل نعمة الله على هذه الأُمة أَن جَعَل لها من أَنفسها في كلِّ جيلٍ ، طائفةً أَورثها مُهِمَّةَ النبيِّ المبعوث لها بشارةً ونذارةً رحمةً وهدايةً ، وانتدبها إِلى القيام بها حقَّ القيام ، ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إِلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ ، وجعل كلامهم - وفلاحُ الأُمة يكون بهم - أَثرًا مترتبًا على قيامهم بهذه المهمة الجليلة ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ .

وجعل الخيرية وصفًا باقيًا في هذه الأُمة ما دامت هذه الطائفة منها تؤَدِّي هذه المهمة ، وتعقد خناصرها على حقِّها ، ولا تفلت منها إِلا من عجزٍ أو إِكراه .

فقال سبحانه : ﴿ كنتم خير أُمَّةٍ أُخرجتْ للنّاسِ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

وهذه المهمة واسعةُ الزَّمان والمكان ، فزمانُها الدهر ، ومكانها الأرض ، فهي

تحيط بالأُمم والشعوب كافة ، وتمشي إليها جهادًا ، وبلاغًا حيثما كانت في هذه الأرض ، فإنْ وقفت الأمَّةُ بهذه الأُمة عند حدود الأرض التي تقيم عليها ولم تصب بها شعوبها وقبائل في أَقطارها ، وقعد بها عجزها عن الوفاءِ بحق هذه المهمة ، وأخذت تدُور بها حول نفسها - كأَنَّما جعلت حمىً لها في أَرضها وفي أنفسها - فإنها حينئذٍ تنقلب بهذه المهمة على عقبيها ، ولا يكون لها حتى لنفسها من نفسها حظٌّ من هذه المهمة ، وهو ما هو كائِن الآن فيها ، والله المستعان وحده .

من هنا فقد كان حقًّا علينا - في هذه الحقبة الزمنية العصيبة ، التي تَعصِفُ بالأُمة أَهوالُها ، وتتجارى بها مِرَّةُ أَهوائها ، وتَجلبُ عليها الأُممَ بكل مكرها ، أَن نُظْهر العامَّةَ فيها على ما تجهله من هذه المهمة ، ونذكِّر خاصّتها بواجبها حيالها ، حتى تَأْتلف في تفكيرها على منهجٍ واحد ، وينتظمَها في تصوُّرِها نظامٌ واحد ، وتمضي في تعاونٍ وثيق على سواء الطريق .

إِنَّ الإِسلام العظيم بقواعده الكلية الثابتة ، وبأصوله العامة الباقية ، وببراهينه المحكَمة الباهرة ، قد أقام للناس منهاجًا تعليميًّا تربويًا متكاملاً ، أساسه الكتاب الكريم والسُّنَّةُ المطهرةُ ، وفَهْمُ السَّلفِ الصَّالح العملي لهما ، ومن هذا المنهاج يكون النظر الواضح الشامل الدقيق إلى كل ما يطرأُ على الحياة الإِنسانية من مستجداتٍ إِيجابيةٍ ، أو متغيراتٍ سلبيةٍ ، وبما يهدي إليه هذا النظر يكون التعامل العمليُّ النَّظريُّ مع هذه المستجدات والمتغيِّرات على هدى من قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أَحْسن ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ ومن أَحسن قولًا ممن دعا إِلى الله وعمل صالحًا وقال إِنني من المسلمين ﴾ ، ومن قوله تعالى : ﴿ قل هذه سبيلي أَدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ ، فهذه الآيات ترسم المَهْيَعَ ، الذي يعلوه الداعية المؤمن في كل زمان وفي كل مكان و اتباعًا للسَّلف الصَّالح ، واقتداءً بأَئمَّة الهدى من القرون المفضلة الاولى ، التي أُوفت بوجداناتها ، وأَرواحها ، وعقولها على المورد العذب الصافي ، تستقي منه ، من

اليد التي فجَّرته في أرض الجزيرة الجرُز ، فإذا الأرضُ كلُّها تستقي من غُدُرِه ، وتنهل من سواقيه .

وما كان للقرون الآتيات من بعد تلك القرون إلا أن تُعنى بالنظر الدَّقيق في سيرة تلك القرون ، فتلمَّ ببصائرها ، وترتاد مواردها ، لتأخذ عنها أحسن ما عندها – وكلُّه حسن – فلا يقع بصرُها إلا على علم ، ولا يُصيبُ حسُّها إلا نورًا يهدي ، وهدىً ينير ، ينتفي به الجهل ، ويربو به العلم ، ويستقيم به الأمر ، ويُهاضُ به جَناحُ المنكر .

وأَطلع على الدنيا القرنُ السادس ، واجتمع على سطحه نُثارُ عِلْمٍ من علم القرون الثلاثة الأُولى ، وما أَن أَبصرت به عيون النابهين الهداةِ من طلاب العلم حتى تسارعت إليه أَيديهم تتناهبه ، لكنَّ يدًا منها كان لها من القوة والحرص ما لم يكن لسواها ، فأمسكت على عُظْمه من غير أن يكون ليد فضلٌ عليها ، إلا ما كان من فضل الله عليها ، وفضل الله يؤْتيه من يشاء ، ففازت عليها جميعًا ، وبرعت في صناعة العلم براعةً ، أَعجَزَت البراعاتِ كلَّها أن تُدركها ، وأَمَرَّت قُدُراتها الفذةَ المبدعة على عقول العلماءِ وطلاب العلم ، وجمعت إليها علومَ السابقين ، وفتحت نوافذ العلم وأَبوابه على مصاريعها للَّاحقين ، وأَقبلت عليها العقول من كل حدب وصوب تقدم لها على استحياءٍ صناعتها ، وتعرض عليها في وجلٍ وتردُّد بضاعتها ، ثمَّ لا تلبث – في أيام معدودات – أن تعود موقورة بمعارفَ لم ترد بها من قبل ولم تحط علمًا بها ، فبعضها يمضي يرتدي دثار شكر المنعم المتفضل ، وبعضها وبعضها نَخَّ (أَي : أَسرع) به المسير موقورًا ، فانقُطِعَ به في بعض الطريق فالتاث في عقله أمره ، وخَفِيَ عليه حاله ، وفَقَدَ صواب الرأْي ، وعاد عليه باللائمة أن أَخذ عن تلك اليد الجامعة النَّثارَ المباركَ ، إذ قدَّر أنه لا يستطيع صبراً على حمل هذا الوقر والمضي فيه في صعدات المستقبل ، فانقلب يطعن على تلك اليد البارة التي أحسنت إليه وأَوقرته علمًا .

إنَّها يدُ الإمام ابن تيمية الحرَّانيِّ النميري الدِّمشقي ، شيخ الإسلام ، وعلم

الإيمان ، وسيف الحق ، وعمادِ الفضل ، وسَجْلِ الهدى ، باعث السُّنَّة ، وخافِضِ شوكة النفاق ، ومُخْمِد صوت البدعة ، وناكئ جراحات الأهواء ، وشادخِ رأس الضلالة ، ومقطِّع أحشاء الزندقة ، ومقرِّح أجفان السِّفلة الأَوغادِ أَبناء اللُّكَعات ، وفاقئُ عين وحدة الوجود والحلول ، وكاشف زيوف الإرجاء والاعتزال وزيوغ التصوف ، ومبير أَحلاس الشرك الخفيِّ منه والظاهر ، أقبل على الله فأَقبل الله عليه .

فكان محرابَ عبودية ، ومخلاة طاعةٍ ، ووسادَ معرفةٍ ، وقنديل هدايةٍ ، ومتَّكأَ معروف ، ساد الزمان وعيونه مفتوحة ، وأَحلَّه علمُهُ كلَّ مكان والناس على صعيده أَيقاظ ، ومشى برداء التقوى فوق الورود والأشواك .

رحم الله ابن تيمية ، وأعظم للأمة فيه العزاء ، وكأَنما أَراد الله له أَن لا يكون لأَحدٍ يدٌ عليه لا في حياته ولا من بعد موته ، إلا أَنْ تكون يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان علمه الذي خطه بيمينه ، هو عزاءه في نفسه ، وهو عزاء الأمة فيه ، فكان فضل الله عليه عظيمًا ، إذ جعل فضلاً له على الأُمة في حياته ومن بعد موته ، كرامةً لا تورث ، ومجداً لا يُطاول ، وسؤددًا لا يقاوَل .

ولْندع القلم يخط لنا نبذًا يسيرةً من كلام شيخِ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، يجتنيها من ميراثه الضخم الذي حفظه الله سبحانه بحفظه دينه (في الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ، قرأته الأَجيال والقرون من بعده كلامًا ، وتَناقلته عنه أَحاديث وأَخْباراً ، وحَفظه لنا صدر التاريخ سيرة رائقةً رفيعةً .

وفي نقولات ابن تيمية رحمه الله غُنيةٌ لنا عن سواها ، فقد أَوفى بنا بها على الغاية ، وقام بها بواجبٍ جاب أَقطارها الأرض ، يضع عن كواهل الناس إِثم القعود عنه ، ويبرئ ذمتهم من التَّقصير فيه .

قال رحمه الله **أَولاً** في فضل الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الذي أَنزلَ الله به كتبه ، وأَرسل

به رسله ، وهو من الدين » ، وقال أَيضًا : « هو من أوجب الأَعمال وأَفضلها وأَحسنها » .

وقال رحمه الله **ثانيًا** في حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« لا يجب على كل أَحدٍ بعينه ، بل هو على الكفاية ، كما دلَّ عليه القرآن » يُلمح رحمه الله بقوله إلى قول الله تعالى : ﴿ **ولْتكن منكم أُمَّة** يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ يقول أَهل التأويل : الأَمر بالمعروف من فروض الكفايات ، وللمتصدِّي له شروط ، قال الضحاك : هم الصحابة والمجاهدون والعلماء والخطاب للجميع ، لأَنهم لو تركوه أَثموا جميعاً .

وقال رحمه الله **ثالثاً** في صفات الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر :

إِنَّ النيَّة المحموده التي يتقبلها الله ، ويثيب عليها : أن يراد الله بذلك العمل ، والعمل المحمود : الصالح ، وهو المأمور به ، وإذا كان هذا حدَّ كلِّ عمل صالح ، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يجب أن يكون هكذا في حقِّ نفسه ، ولا يكون عمله صالحاً إِن لم يكن بعلمٍ وفقهٍ ...

ثم قال : فلا بدَّ من العلم بالمعروف والمنكر ، والتمييز بينهما ، ولا بدَّ من العلم بحال المأمور والمناهي .

ثم قال : ولا بدَّ من الرفق كما قال عليه السلام : « ما كان الرفق في شئ الا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شانه » ، ولا بد أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أَكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ **وأْمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك إِن ذلك من عزم الأُمور** ﴾ ، وقال مخاطباً نبيه محمداً عليه السلام : ﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** ﴾ ، فلا بدَّ من هذه الثلاثة العلم ؛ والرِّفق ، والصبر : العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والرِّفق معه ، والصبر بعده ، ذلك أَنَّ الأَمر بالشئ مسبوق بمعرفته ، فمن لا يعلم

المعروف لا يمكنه الأَمر به ، والنَّهي عن المنكر مسبوقٌ بمعرفته فمن لا يعلم المنكر لا يمكنه النهي عنه .

وقال رحمه الله **رابعاً** في أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« إِنَّ الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون تارة بالقلب ، وتارة باللسان ، وتارة باليد ، فأمّا القلب فيجب بكل حال ، إذ لا ضرر في فعله ، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن كما قال عليه السلام : « وليس وراء ذلك من الإِيمان حبةُ خردل » .

ولا بد هنا من التنبيه إِلى أَنَّ الأصل في هذا هو قوله عليه السلام : « من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أَضعف الإِيمان » ، والأمة كلُّها إزاء هذا الحديث مكلَّفةٌ بهذه الأمة ، فذوو السلطان والإِمارة والرياسة والقدرة واجبٌ عليهم تغيير المنكرات باليد (رمز القوة) ، وأهل العلم والفقه والقلم واجبٌ عليهم تغيير المنكر باللسان (رمز العلم والبيان) ، وأما العامَّة في الأمة فلا يملكون في التغيير إِلا النفرة القلبيَّة ، والمهاجرة ، وما يسمَّى بالمقاطعة الأَدبية ، كما وقع من الصحابة رضوان الله عليهم حين أمرهم النبيُّ ﷺ أَن يقاطعوا إِخوانهم الثلاثة المتخلفين عن غزوة « تبوك » .

وبتعاون الأُمة بأقسامها الثلاثة يتحقق المقصود من هذه المهمة ، واذا تَخلَّى قسم عن القدر المطلوب منه ، أو عزم على القيام بما ليس مطلوباً منه ، فقد اضطرب حبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال رحمه الله **خامسًا** في بيانِ بعض ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

١- « أن لا يُعتدى على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بُغضهم أو ذمِّهم ، أو نهيهم أو هجرهم ، أو عقوبتهم ، بل يقال لمن اعتدى عليهم : عليك نفسك لا يضرك من ضلَّ إذا اهتديتْ ، كما قال سبحانه : ﴿ ولا يجرمنَّكم شنآنُ قوم

على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أَقرب للتَّقوى ﴾ .

وكثير من الآمرين الناهين قد يتعدَّى حدود الله إِما بجهلٍ وإما بظلمٍ ، وهذا باب يجب التثبُّتُ فيه ، وسواء في ذلك الإِنكار على الكفار والمنافقين والفاسقين والعاصين » .

٢- أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشروع من العلم والرفق والصبر وحسن القصد ، فذلك داخل في قوله تعالى : ﴿ عليكم أَنفسكم ﴾ وفي قوله : ﴿ إذا اهتديتم ﴾ .

وأَقولُ : يَحسُن بالآمر والناهِي أن ينظر في ذاته ، فيقبل عليها إِصلاحًا ؛ علمًا وعملاً ، فإذا علم شيئاً عمل به ، وإذا جهله جهد أَن يتعلمه ، فإذا ما رأى من نفسه غلبة لها ، وتمكّنًا من إصلاحها ، واقتدارًا على الائْتِمار والانتهاء بما سيأمر به وينهى عنه ، أقبل على من يرى أَنهم في حاجةٍ إلى الأَمر والنهي سواه ، وإِلّا فإِنَّه مواقعٌ إثماً صريحًا بمخالفته عن قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مقتًا عند الله أَن تقولوا ما لاتفعلون ﴾ ، فإن الآمر الناهي لا ينال ثمرة سعيه بدعوته الناسَ ، إلا إِن رأوا فيه صدق قوله بموافقته عمله ، لذا فإن على الآمر الناهي أن ينصرف إِلى نفسه يصلحها ، وأن يسأَل من يمحضه النصح عن عيوبه ، فإنَّ الآخرين يرون فيه ما لا يرى هو من نفسِه ، ورحمَ اللهُ امرءًا أَهدى الناسُ إِليه عيوبَه ، فصبر وشكر وغفر .

وهذا ضابط من ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا ينبغي أن يفوت أهل المنهج الحق ، الذين يزعمون أنهم على بيضاءَ نقية ، يدعون الأُمَّة إِلى التَّصفية والتربية . فالنفوس لا تصفو إلا بمجاهدتها ، ولا تحسن تربيتها ، إلا بالجد والمثابرة ، فالحذر الحذر من الاغترار ، الذي يُباعد من الجنة ، ويدني من النار ، وخير لمن لا يفقه هذا الضابط ، أو يفقهه ثم يدعه أَن يمتثل قوله عليه السلام : « من حسن إِسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وقال رحمه الله **سادسًا** في الآثار المترتبة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« من يريد أن يأمر وينهى ، إما بلسانه وإما بيده مطلقًا ، من غير فقه ولا حلم ، ولا صبر ، ولا نظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، فيأتي بالأَمر والنهي ، معتقدًا أَنه مطيع لله ولرسوله ، وهو معتدٍ في حدوده » .

ثم يقول : « وجماع ذلك داخل في القاعدة العامَّة ، فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، أو تزاحمت ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها ، فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد ، وتعارضت المصالح والمفاسد ، فإنَّ الأَمر والنهي – وإِنْ كانَ متضمنًا تحصيل مصلحة ودفع مفسدة – فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به ، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته » .

ولعل في كلام تلميذ شيخ الإِسلام ابن تيمية ، الإِمام ابن قيم الجوزية رحمه الله ، زيادة بيان وإِيضاح لكلام شيخه في هذا ، أورده رحمه الله تعالى في كتابه القيم « إعلام الموقعين » ، فقال رحمه الله تعالى : « فإنكار المنكر أربع درجات :

الاولى : أن يزول ويخلفه ضدُّه .

الثانية : أن يقلَّ وإن لم يزُل بجملته .

الثالثة : أن يَخْلُفَهُ ما هو مثله .

الرابعة : أن يَخْلُفَهُ ما هو شرٌّ منه .

فالدّرجتان الأُوليان مشروعتان ، والثالثة موضع اجتهاد ، والرابعة محرَّمة ، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشِّطرنج كان إِنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة ، إلا إِذا نقلتهم منه إِلى ما هو أحبّ إِلى الله ورسوله ، كرمي النُّشَّاب وسباق الخيل ونحو ذلك ، ، وإذا رأيت الفساق اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع مكاءٍ

وتصدية ، فإن نقلتهم عنه إلى طاعة اللهِ فهو المُراد ، وإلّا كانَ تركُهم على ذلكَ خيرًا من أَن تفرِّغَهم لما هو أَعظم من ذلك ، فكان ما هم فيه شاغلاً لهم عن ذلك ، وكما إذا كان الرجل مشتغلاً بكتب المجُون ونحوها ، وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال والسحر فدعه وكتبه الأولى » .

رحم الله ابن القيم فقد برع في الصناعات العقلية كلّها ، ووقف على أبوابها فلا يجتاز واحدٌ عتبَةً من عتباتها إلا بإذنه ، ولكأَنه رحمه الله قد رأَى ببصيرته ما يجري في أرض الإسلام اليوم ، فوضع لهم هذه الدرجات ، ورسم لهم الطريق إليها وعلَّمهم كيف يرقونها ، وأيم الله إنَّه لنعم التلميذ لنعم الشيخ ، وحريٌّ أَن يُذكر إن ذُكر شيخه ، وأن يحظى من ثناء العلماء وطلاب العلم ما حظي شيخه ، وأَن يلقب بلقب شيخه فيقال له : شيخ الاسلام .

وإننا لنحمد الله سبحانه على أن أعاد في الناس مدرسة شيخ الإسلام ، وصار لها شيوخٌ وتلاميذ في كل أرجاء المعمورة ، وعمرت بيوت المسلمين المتقين العقلاء بكتبه ورسائِله وفتاواه .

ومن المضحك المبكي معًا أن لا زال في المسلمين من يطعن عليه ، ويسبُّه ، ويلعنه ، بل ويكفِّره ، ولا أدري إن كان هؤلاء الظانُّون بأنفسهم ظن السوء يظنون أَنهم ملاقو ربهم ، وأنهم إليه راجعون ، وأَنَّهم معروضون عليه للحساب ، فماذا سيقولون لربهم ، وقد حملوا أَوزارًا لا تطيقها الجبال ؟

أنصح لهؤلاءِ أن يُنيبوا إلى ربِّهم ، وأن ينخلعوا من آثام عِرض هذا الإمام الرباني المجاهد ، وأن يكونوا على المنهاج الذي أسَّسه وأَصّله .

واللهُ مَعَ الصابرين ...

الإسلام والتربية

الدكتور خالد محمد علي الحاج

ظهرت التربية في الإسلام منذ بدء ظهوره ، وذلك على يد أُستاذ البشريّة الرسولِ الكريمِ ﷺ وحاملِ رسالةِ فخر الإنسانيّةِ الّذي أَرسله الله تعالى إِلى النَّاس كافّة ، يعلِّمُهم أُمورَ دينهم ودنياهم ، ويرشدُهم إِلى الطريق المستقيم ، قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي بَعَثَ في الأُمّيين رسولًا منهم يَتْلوا عليهم آياتِه ويُزكّيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ وإِن كانوا من قبلُ لفي ضلالٍ مُبين ﴾ ، وهكذا ؛ فقد كان رسول الله ﷺ هو أَوّلَ معلم في الإِسلام .

لقد قامت التربية الإِسلاميّة منذ بدء ظهورِها على أَمرين : هما الكتاب والسنّة .

ولمّا كان القرآن كتابًا ثابتًا منذ أُنزل حتّى اليوم ، يحفظه المسلمون ويرجعون إِلى أَحكامه ، ويهتدون بآياته ، وكانت السنّة النبويّة مدوّنة كذلك ، ويحفظها أَئمّة المسلمين ، وهي تعدُّ مكمّلة لكتاب الله ومفصّلة لأَحكامه ، ونبراسًا يهتدي بها المسلمون في سلوكهم فلا غرابة – والحالة هذه – أَن يمتاز الإِسلام بضرب خاص من التربيّة تختلف في أَهدافها ووسائلِها عن أَلوان التربية الأُخرى التي سادت حضارات الإِسلام شتى على مرّ الزمان ، واعتمدت على دعائم مغايرة لتعاليم الإِسلام .

إِنَّ موضوع التعليم ومناهجه موضوع جليل الشأن عند كلِّ الأُمم ، وفي كلِّ العصور – قديمها وحديثها – ، وقد عني به الباحثون من العلماء والفلاسفة وألّفوا فيه الرسائل وكتبوا فيه الكتب ، ولا يزال موضع اهتمام المجددين والمفكرين والأَئمّة .

وصفوة القول : إِنَّ العلم أَساس كلِّ إِصلاح ، وتاج كلِّ نهضة ، والتعليم ليس سوى السبيل إِلى نشر العلم وتثقيف العقول وتهذيب النفوس ، وإِخراج النّاس من

الظلمات إلى النُّور .

منزلة العلم في القرآن والسنة :

١ – موقف القرآن من العلم .

إنَّ المتأمِّل للقرآن الكريم يجد آيات كثيرةً تحثُّ الإنسان على التفكُّر والتدبّر وتثني على من سَلَك هذا السبيل ...

ومن أَمثلة ذلك قوله تعالى :

١ – ﴿ أَوَلَم يتفكَّروا في أَنفسهم ما خَلَقَ اللهُ السموات والأَرضَ وما بينهما إلّا بالحقِّ ﴾ .

والنَّاظرُ في كتاب الله العزيز يجد أَنَّ أَوّل شيء نادى به القرآن هو القراءة والحثّ على طلب العلم ، ومن ذلك :

٢ – قال تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربِّك الَّذي خَلَقَ خَلَقَ الإنسانَ من عَلَق اقرأ وربُّك الأَكرم الّذي علَّمَ بالقَلَم علَّم الإنسانَ ما لم يعلم ﴾ .

ففي هذه الآيات المباركة دعوةٌ للعقل الإنساني إلى التأمُّل والتدبُّر في خلق الإنسان وكيفيّة تكوينه ، وهذا ما يسمّى اليوم بعلم التشريح .

وكذلك نجد بعض الآيات الكريمة تتحدّث عن التأمُّل والتدبُّر في خلق الإنسان ونشأته والمراحل التي مرَّ بها ، ومن ذلك :

٣ – قال تعالى : ﴿ فلينظرِ الإنسانُ ممّا خُلِقَ خُلِقَ من ماءٍ دافقٍ يخرجُ من بين الصُّلبِ والترائبِ ﴾ .

وقال أَيضًا : ﴿ ولقد خَلَقنا الإنسان من سُلالةٍ من طين ثمَّ جعلناه نُطفةً في قرارٍ مكين ثمَّ خَلَقنا النُّطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقْنا المُضْغةَ عظامًا فكسونا العِظامَ لحمًا ثمَّ أَنشأناه خلقًا آخر فتبارك الله أَحسن الخالقين ﴾ .

ولا شكَّ أَنَّ هذا الوصف الدقيق فيه إِشارة صريحة للعقل الإِنسانيّ بأَنْ ينشط ، ويبذل كلَّ ما في وسعه من أَجل التعرُّف إِلى خصائص أَعضائه وسائر ما يتعلّق بجسده ... وكذلك نجد في كتاب الله آيات كثيرة تشدُّ العقل الإِنسانيّ إِلى دراسة علم الفلك والتعرُّف إِلى أَسرار الكون ومخلوقات الله ، ومن ذلك :

٤ - قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشمسَ ضِياءً والقَمَرَ نورًا وقدَّره منازِلَ لتعلموا عَدَدَ السنينَ والحِساب ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وبالنجمِ هُم يَهْتَدون ﴾ .

ومن خلال هذه الآيات وغيرها يمكن التعرُّف إِلى نوع العلاقة القائمة بين الإِنسان وبعض المخلوقات التي سخّرها الله لخدمة هذا الإِنسان .

وكذلك فقد بيّن سبحانه وتعالى فضل العلم والعلماء في كثير من الآيات الكريمةِ ، ومن ذلك قوله تعالى :

١ - ﴿ يرْفعِ اللهُ الَّذين آمنوا منكم والذين أُوتُوا العلمَ دَرَجات ﴾ .

يُروىٰ عن ابن عباس رضي الله عنه قوله معلّقا على هذه الآية : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام » .

وكذلك فقد قال عزّ وجلّ :

٢ - ﴿ قُل هلْ يَستوي الَّذين يعلمُون والَّذين لا يعْلَمون ﴾ ؟!! أَولم يكف بالعلم وأَهليه الشرف الأَصيل والمجد الأَثيل أَمثالُ هذه الآيات الكريمة الواردة في آيِ التنزيل ...

٢ - موقف السنّة من العلم :

لقد اهتمت السنّة الشريفة غاية الاهتمام بطلب العلم وتشجيع العلماء ، فقد كان ﷺ يحثُّ أَصحابه على تفهُّم أُمور دينهم ودنياهم ...

فقد كان - عليه الصلاة والسلام - يأَمر أَصحابه بنشر العلم ويوصي بطلاب

العلم خيرًا ، ومن أَمثلة حثّه أَصحابه على طلب العلم قوله :

١ - « طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم » (١).

وقد جعل ﷺ العلم من الأُمور التي لا ينقطع أَجرها بعد الموت ، فقال :

٢ - « إِذا ماتَ ابن آدم انقطع عمله إِلّا من ثلاث : صدقة جارية ، أَو علم ينتفع به ، أَو ولد صالح يدعو له » (٢) .

ولم يقتصر الأَمر عند هذا الحدِّ ، بل إِنَّه ﷺ وجَّه عنايته واهتمامه لجميع مرافق الحياة ، إِذ شمل جميع جوانب النواحي الإِنسانيّة ، ومن أَمثلة ذلك :

أَنّه كان يعقد الألوية ويقسّم الجيش ويجهّزه بالسلاح ، وكان يرسل بعض الجند من أَجل الاستطلاع ، ومن ذلك أَنّه أَرسل حذيفة بن اليمان إِلى معسكر المشركين من أَجل الوقوف على أَخبارهم، وفي ذلك يروى الحاكم عن حذيفة أَنَّ رسول الله ﷺ قال له :

« انطلق يا حذيفة إِلى معسكر المشركين ، فأْتني بخبرهم ، وبالذي يريدون إِذا أَصبحوا فإِنّه قد بلغني بعض الخبر ، ولا تحدّثنَّ حدثًا حتّى ترجع إِليّ » (٣) .

وأَمثلة ذلك كثيرة ...

كما اعتنى ﷺ بالنواحي الاقتصاديّة والزراعيّة والصحيّة والاجتماعيّة .

وكذلك ، فعن فضل العلم يقول ﷺ : « من سَلَكَ طريقًا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إِلى الجنّة ... وإِنَّ العلماء ورثة الأَنبياء ... ﴾ » (٤).

---

(١) حديثٌ حسنٌ لغيره .

(٢) رواه مسلم وغيره .

(٣) « المستدرك » (٣ / ٣١) و « دلائل النبوّة » (٣ / ٤٥١) وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبيّ .

(٤) رواه أَحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

ونختم هذه المقام عن منزلة العلم في السنّة وأَهميته بقوله ﷺ : « بلِّغوا عنّي ولو آية ... » [١] .

أَهداف التربية الإِسلاميّة

لم يكن هدف التربية الإِسلاميّة دنيويًّا محضًا كما كان عند اليونان والرومان ، ولم يكن دينيًّا محضًا كما كان عند المسيحيّة في الصدر الأَوّل ، وإِنّما كان دينيًّا ودنيويًّا معًا ، فقد كانوا يرمون إِلى إِعداد الفرد المسلم للدنيا والآخرة ، ومن يتأَمّل نصوصَ القرآن الكريم والسنّة الشريفة وآثار السلف الصالح يرى بوضوح ما يدلُّ على ذلك .

ومن نصوص القرآن في ذلك قوله تعالى : ﴿ وابْتَغِ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبَك من الدنيا ﴾ .

وإِذا كانت أَهداف التربية - في القديم والحديث - تختلفُ فيما بينها ، وتكاد تتفق في النهاية في الغاية من التربية ، وهي إِعداد المواطن الصالح ، فإِنَّ الإِسلام يتّجه إِلى ما هو أَبعد من ذلك ، ويجعل الغاية من التربية هي إِيجاد الإِنسان الصالح ، الذي يلتزم منهج القرآن الكريم ، ويتأَدّب بأَدب الإِسلام ، الإِنسان العالميّ الذي يعتقد أَنَّ الناسَ كلَّهم خلق الله ، فهم إِخوة في الخليقة ، ولن يتفاضلوا بالعصبيّة والقبليّة ، ولا يفرّقهم الجنس أَو اللون ، أَو يستعبد بعضهم بعضًا ، لأَيِّ سبب من الأَسباب ، فالنّاس كلّهم سواسية كأَسنان المشط : ﴿ إِنَّ أَكرمكم عند الله أَتقاكم ﴾، فقد جاء في الحديث الشريف : « كلّكم لآدم وآدم من تراب » [٢] .

والناس كلّهم صائرون إِلى الله عزَّ وجلّ في النهاية ، فهم إِخوة في المصير ، قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنتهى ﴾ .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري ومسلم .

والناس إِخوة في الإِنسانيّة ؛ لأَنّهم جميعًا خلقوا من نفس واحدة ﴿ يا أَيُّها النّاس اتقوا ربَّكم الذي خَلَقَكم من نفسٍ واحدة وخَلَقَ منها زوجها وبثَّ منهما رِجالًا كثيرًا ونساءً واتقوا الله الّذي تساءلونَ به والأَرحامَ إِنَّ الله كانَ عليكم رَقيبًا ﴾ .

وعلى الناس أَن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئًا ، قال تعالى ﷺ : ﴿ وَقَضَى ربُّك ألّا تعبدوا إِلّا إِيّاه وبالوالدين إِحسنًا ﴾ .

وكذلك ؛ فالناس كلّهم إِخوة في الاتجاه ﴿ فأَينما تُولُّوا فثمَّ وجهُ الله ﴾ .

والتفاوتُ الحقيقي هو التفاوتُ في الدين والتقوى : ﴿ إِنَّ أَكرمَكم عند الله أَتقاكم ﴾ .

وبعد ؛ فهذه لمحة سريعة لأَهداف التربية الإِسلاميّة ، التي كان من أَهمِّ أَهدافها تربية أُمَّة من الأُمم لتحمل هذا الدينَ الخالدَ إِلى الناس جميعًا ، هذه التربية الموافقة للفطرة البشريّة ، والمتلائمة مع النفس الإِنسانيّة ، لا تحيد قِيد نملة عن الجِبِلّة التي فطر اللهُ الناس عليها .

أَثر التربية الإِسلاميّة في سلوك الفرد

جاء الإِسلام الحنيف ليربي الإِنسان - الخليفة في الأَرض - ليربيه قلبًا وروحًا وجسدًا وعقلًا ، ويربّيه سلوكًا وأَخلاقًا ، ويرتفع به إِلى الأُفق الأَعلى أُفق الإِنسانيّة ، آخذًا بيده حتّى يحيله في النهاية صورة حيّة من تصورات الإِسلام للإِنسان الكامل ، ويصنع منه طاقة كونيّة فعّالة تهيمن على الكون وتسخّره لتحقيق الخلافة في الأَرض .

وهكذا ؛ فالإِسلام يجعل من هذا الإِنسان قوة عزيزة ، لا تذلُّ ولا تضعف ، ولا تهن ولا تجبن ، بل تواجه الأَحداث في إِيمان وثقة من عون الله الكبير المتعال .

هذه القوّة الملهمة ، ستجاهد أَعداء الله في الأَرض وأَعداء البشريّة ، وهي بالتالي مطمئنة بوعد الله ونصره ﴿ ولينصرنَّ اللهُ من يَنصُرُه إِنَّ الله لَقَويٌّ عزيزٌ ﴾ .

لقد نزل القرآن العظيم منجّمًا ، ليتدبّر في عمق ، وتنفّذ تعاليمه على أَنماط الحياة ، ويكون منهجًا ودستورًا وقائدًا ودليلًا .

نقولُ : دستورًا ؛ أَي : دستودًا للحياة الفرديّة والجماعيّة وقائدًا لها ، يوجّهها إِذا بعدت ، ويبصّرها إِذا أَخطأت ، ويأخذ بيدها بعيدًا عن وعورة الحياة ، ومزالق الطريق .

وعليه ، فإِنَّ من يتدبّر القرآن الكريم يبدو له جليًّا أَنَّ الإِسلام عبارة عن نظام حياة يسمّى دينًا (١) .

يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أَقوم ﴾ .

وكلُّ من يتناول القرآن الكريم بالتلاوة والتدبّر يرى أَنَّه كتاب عقيدة وتشريع وكتاب تربية وتوجيه ، ودعوة من الله تعالى للإِنسان لدراسة الكون والحياة ، دراسة متأنية ، هادئة ، ليعرف ويتعلم ويفهم ويتدبّر ، ومن ثمَّ يتّجه الاتجاه الصحيح .

إِنَّ في كتاب الله المبارك منهجًا متكاملًا في التربية ، وهو منهج من الدّقّة والشمول بحيث لا يترك جزئيّة من جزئيّات الإِنسان دون أَن يلقي عليها الضوء ...

إِنَّ منهج القرآن في التربية يختلف كلَّ الاختلاف عن كلِّ المناهج البشريّة ، ويختلف في تصوره للإِنسان كذلك عن كلِّ التصوّرات الأَرضيّة له ... وهنا يكمن السبب في نجاح المنهج الإِسلاميّ في تربية الأَفراد حيث فشلت مناهج الآخرين ...

تباين التصوّر الإِسلامي للإِنسان عن غيره

الإِنسان في منهج الإِسلام ليس روحًا فقط ، كما تدّعي بعض المذاهب الفلسفيّة ، وأَنّه ليس عقلًا فقط ، كما تَصوّره قادة الفكر اليونانيّ قديمًا ، ونادت به بعض المذاهب التي تدّعي التقدميّة في عالمنا المعاصر ، كما أَنّه ليس جسدًا فحسب

---

(١) انظر الدكتور عبدالرحمن عميرة « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٤) .

كما اعتبرته دولة الرومان وأسبرطن بخاصة [١] .

فالإِنسان في منهج الإِسلام السويّ هو : عقل وجسد وروح ، وأَيُّ تجاهل لأَي من هذه الثلاث يبعد الباحث عن التصوّر الصحيح للإِنسان .

وهكذا ؛ فالإِنسان في التصوّر الإِسلاميّ يختلف عن التصوّر الذي نادت به المدرسة (الداروِنيّة) [٢] من أَنّه ثمرة لتطوّر العَفن وتخمّر الطين .

فالإِنسان الذي خلقه الله في أَحسن تقويم عند (داروين) خرج من باطن الأَرض ، فهو من صنع الطبيعة ﴿ أَلا ساءَ ما يحكمون ﴾ ؟! ...

أَمّا في التصوّر الإِسلامي ؛ فالإِنسان خلق من طين الأَرض ، فهو من صنع الله الذي أَتقن كلَّ شيء ؛ قال تعالى : ﴿ لقد خلقْنا الإِنسانَ في أَحسنِ تقويم ﴾ .

وخلاصة القول : فالإِنسان عند المدرسة (الداروِنيّة) خلاصة التربية الأَرضيّة وكفى ...

والإِنسان في منهج الإِسلام : قبضة من طين الأَرض ونفخة من روح الله ...

قال عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنّي خالق بَشَرًا من طين فإِذا سوّيته ونفختُ فيه من رُوحي فَقَعُوا له ساجدين ﴾ .

وهكذا يتبيّن لنا أَنَّ الإِنسان الذي أَكرمه الله وحمّله الأَمانة هو في نظر (داروين) وأَتباعه مبتوت الصلة إِلّا بالأَرض ؛ من باطنها خرج وإِليها يعود ، وفي منهج الإِسلام العادل الإِنسان هو الخليفة في الأَرض ، ودنياه طريق إِلى آخرته ، قال تعالى : ﴿ وأَنَّ إِلى ربّك المُنْتَهى ﴾ .

وكذلك نجد الاختلاف الشاسع في التصوّر الإِسلاميّ للإِنسان عمّا توصَّل

---

(١) انظر « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للشيخ أَبي الحسن النّدوي .

(٢) نسبة إِلى داروين الإِباحي الملحد ، وهو صاحب كتاب « أَصل الأَنواع » .

إليه فرويد اليهودي الخبيث الذي قرّر في مجمله : « إنَّ الطاقة الجنسيّة هي الكيان الحقيقي للإنسان » [١]، وما دامَ الأمر كذلك ، فهي الدافع وهي المحرّك وهي الموجّه !!؟ فهل هذا هو الإنسان يا من انسلختم عن الإنسان ... وطبّقتم تعاليم الشيطان !؟ .

إنَّ منهج الإسلام لا يُغفل الطاقة الجنسيّة وأثرها في حياة الإنسان ، ولكنّه لا يعطيها أكثر ممّا تستحقّ، فهي طاقة من طاقات الإنسان ، وهي وسيلة وليست غاية ...

ومن المعلوم أنَّ الجنس في منهج الإسلام وسيلة لاستمرار النوع البشريّ ... يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يا أيُّها النّاس اتقوا ربَّكم الذي خَلَقكم من نفسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زوْجها وبثَّ منهما رِجالًا كثيرًا ونساءً ﴾ .

والجنس - في الشرع الحنيف - وسيلة للسكن والراحة والمودّة والرحمة ، قال عزّ من قائل : ﴿ وَمِن آياتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم من أنفسكُم أزواجًا لتسكنوا إليها وجَعَلَ بينَكم مودَّة ورحمة ﴾ [٢].

هذا هو الجنس في منهج الإسلام ، دافع ولكنّه ليس كلّ الدوافع ، وجزئيّة في تركيب الإنسان لا تتعدّى قدرًا محددًا .

الإنسان ليس هو إنسان (كارل ماركس) ١٨١٨ - ١٨٨٣ اليهودي الشيوعي ، وإنجلز فريدريك (١٨٢٠ - ١٨٩٥) وهما صاحبا التفسير المادي للتاريخ ، وهما اللذان حاولا تفسير الإنسان من الخارج وحصر تاريخ البشريّة في البحث عن الطعام [٣] .

الإنسان في التصوّر الإسلاميّ ليس هو إنسان القوّة ، أو الخاضع لها عند (جون

---

(١) راجع « منهج القرآن في التربية » (ص ١٦) .

(٢) انظر كتابنا « الكشاف الفريد » (١ / ٤٤٥) وما بعدها .

(٣) للمزيد راجع « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٧) وما بعدها .

ديوي الأَمريكي ١٩٥٢) أَو الإِنسان الذي ترتبط حياته بالقهر الاجتماعيّ الذي لا يراعي مشاعر الفرد ورغباته ، كما قرّر ذلك (دوركايم) صاحب التفسير الجمعي للتاريخ [١] .

الخلاصة

إِنَّ الإِنسان في منهج الإِسلام العظيم هو خَلْقٌ من خَلْقِ الله سبحانه ، وهو الذي أَعلن مولده بنفسه : ﴿ إِنِّي خالق بشرًا من صلصال من حمإٍ مسنونٍ ﴾ ، وعلّمه وأَدّبه ﴿ الرَّحمن علَّم القرآن خَلَقَ الإِنسانَ علَّمَه البيان ﴾ وهداه خالقه سبحانه إِلى الطريق المستقيم ، ووضّح له طريق الخير والشرّ ﴿ وهديناه النجدين ﴾ ، وكلك فقد أَعطى الله سبحانه الإِنسان الإِرادة ليفرّق بين الحقّ والباطل وبين الفجور والتقوى ﴿ ونفسٍ وما سوّاها فأَلْهَمَها فجورَها وتقْواها ﴾ ، وزوّده خالقه سبحانه بالإِدراك ووسائله ﴿ وجعلَ لَكُم السَّمْعَ والأَبصارَ والأَفئدة ﴾ ، كما أَنَّه عزَّ وجلّ أَنزل لهذا الإِنسان منهجًا للتربية والتوجيه ، ذلك المنهج الربّانيّ الذي يتناول الإِنسان من تاريخ ولادته ، وتتبّعه طفلًا ويافعًا وشابًا وكهلًا حتّى يموت ...

فهذا المنهج الإِلٰهي المتكامل لا يقبل تنمية ولا تكميلًا ، لأَنّه من صنع الله ، فلا يملك إِنسان – كائن من كان – أَن يضيف إِلى منهج الله شيئًا ، ولا يملك أَن يعدل فيه قليلًا ولا كثيرًا ... أَجل ، ولتسمع الدنيا كلّها أَنَّه منهج متكامل قويم ، لأَنَّه من لدن اللطيف الخبير ، فهو ﴿ الَّذي خَلَق فسوَّى والذي قدّر فَهدى ﴾ .

بعد هذا العرض والمقارنة نستخلصُ أَنَّ صانعَ منهج التربية الإِسلاميّة الصالحة هو صانع الجهاز الآدميّ – البشريّ – وموجده ، والخبير بكلِّ خلجة من خلجاته ، وبكلِّ خليّة من خلايا جسمه ، وبكلِّ ذرّة من ذرّات تكوينه [٢] .

---

(١) انظر المرجع السابق .

(٢) لمعرفة المزيد راجع « منهج القرآن في تربية الرجال » (ص ١٦ – ١٩) .

﴿ هو أَعلم بكُم إِذْ أَنشأكم من الأَرض وإِذ أَنتم أَجِنَّة في بُطون أُمَّهاتكم ﴾ ، الله سبحانه وتعالى هو الأَعلم بما يصلح البشريّة كلّها في كلِّ زمان ومكان ، وبما يصلح لها في مجال التربية والتوجيه والسلوك الاجتماعي والتشريع والحكم والاقتصاد وكلِّ ما لا تصلح البشريّة إِلّا به ، وصدق الله - سبحانه - حيث يقول : ﴿ أَلَا يعلمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ ﴾ .

وبعد ؛ فهذه أَخي القارىء - وفقك اللهُ للحقِّ والخير - بعض اللفتات الإِسلاميّة والمواقف القرآنيّة ، حيال التربية الحقّة والسلوك السويّ ، سُقْناها إِليك وهي مقتبسة من المنهج الإِلٰهي الذي ارتضاه الله تعالى منهجًا ودستورًا ...

نماذج من سيرة الدعاة إلى الله الحلقة الأولى

د: صالح بن غانم السدلان

الحمد لله الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب ، وشرع لعباده هذا الدين ، وسنَّ لهم منهج الطريق المستقيم ، ليعيشوا آمنين مطمئنين ودعاةً إلى الخير مصلحين ، نحمده على آلائه ، ونشكره تبارك وتعالى على نعمائه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في أرضه وسمائه ، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخاتم أَنبيائه ، أَرسلَه على فترة من الرسل فأظهر به الحق ، وأرشد به الخلق ، صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وأصحابه ، وأتباعه ، وأحبائه ، الذين حملوا من بعده علم الدين ولواءه ، يدعون من ضل إلى الهدى ويبصِّرون بنور الله ويصبرون على الأذى ، فرضي الله عنهم أجمعين ، وعمن سار على دربهم ونسج على منوالهم واهتدى بهديهم إلى يوم الدين ..

أما بعد :

فإن القرآن الكريم أرسى قواعد الدعوة ومبادئها ، وعيّن وسائلها وطرائقها ، قال تعالى : ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقال عزَّ مِن قائلٍ : ﴿ قل هذه سبيلي أَدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أَنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

وعلى هذا استمر عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله وإيضاح الحق حتى أظهر الله الدين على يديه ، وأتم عليه وعلى أمته النعمة ، ثم بعد أن توفي ﷺ حمل

أصحابه رضوان الله عليهم من بعده مشاعل هذا النور ، وساروا على الطريق ، فدعوا إلى اللّه وانتشروا في أرجاء المعمورة ، دعاة للحق ، وهُداة للخلق ، لا يخشون في الله لومة لائم ، يبلِّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، هداة مهتدين ودعاة مصلحين .

ومن المعلوم أنه كلما تأخر الزمان ، وابتعد الناس عن آثار الرسالة ، حدثت البدع وفشا الجهل وانتشرت الخرافات واشتدت غربة الدين ، وظن الناس أن الدين هو ما وجدوا عليه آباءهم ، وإنْ كانَ بعيداً عنه ، ولكن الله تعالى لا يخلي الأرض من قائم لله بحُجّة لا تثنيه عن عزيمته قوة ، ولا توهنه عن قصده شدة .

وقد أخبر ﷺ بأن طائفة من أُمته لا تزال على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وقد وقع مصداق ما أخبر به ﷺ ، فلاً يزال - بحمد الله - فضل الله على هذه الأمة يتوالىٰ بظهور المجددين ممن قيضهم الله ليجدِّدوا للأمة أمر دينها ويعيدوها إلى إسلامها الصحيح ونبعها الصافي المتمثل في كتاب اللّه تعالى وسنَّة نبيِّه ﷺ ، فكانوا - بحق - كالطَّود الأشم في وجه الأعاصير ، والنجم الهادي في الليالي الحالكات .

وفي هذه العجالة يسعدني أن أذكر طرفًا من سيرتهم ، ونموذجًا من صبرهم وثباتهم ، سائلاً المولى عز وجل أن يوفِّقَ دعاة اليوم أن يكونوا صورة صادقة لما كان عليه سلفهم ، ويجعلوا من أنفسهم دعاة الى الله بأقوالهم وأفعالهم ، وأن يكون قصدهم بجهادهم وتحملهم التبعات هداية الخلق إلى الإسلامِ الصحيح ، وتعليمهم كما علّمهم معلِّمُ البشريّةِ محمد بن عبدالله ﷺ ، وبذل النصيحة لهم ، ولهم في رسولهم الكريم ﷺ ، وخلفائه الأبرار أسوة حسنة ؛ ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وسيشمل الحديث النقاط التالية :

أولاً : إمام الدعاة وقدوتهم محمد بن عبد الله ﷺ :

أ - مراحل الدعوة النبوية .

ب - خصوم الدعوة ومسالكهم لمحاربة الدعوة ورجالها .

جـ - الهجرة إلى المدينة عامل من عوامل تأمين الدعوة الإِسلامية .

٢- نوح عليه السلام .

٣- إبراهيم عليه السلام .

٤- يوسف عليه السلام .

٥- سليمان عليه السلام .

٦- عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

٧- شيخ الإِسلام ابن تيمية رحمه الله .

٨- الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

ثانيًا : عوامل الصبر والثبات .

ثالثًا : العوامل التي تضمن نجاح الدعوة .

أولاً : إمام الدعاة وقدوتهم نبي الهدى محمد بن عبدالله ﷺ :

١- مراحل الدعوة النبوية :

إن من أروع ذكريات هذه الأمة الإِسلامية في فجر دعوتها تلكم المواقف البطولية التي كان قطب رحاها سيد الأمة ، ومنقذها بهدى الله من الضلالة ، والبشير النذير الذي أخذ بحُجزاتها أن تهاوى أو ترسب في قيود الذلة والاستكانة .

ومن حقِّ الأمة الإِسلامية أنْ تزهو بتلك المواقف الكريمة التي لم تكن إلا لتقرير قضية عادلة ، هي قضية الإِسلام وتنظيم العلائق بين الخالق والمخلوق ، ثم بين الإِنسان وأخيه الإِنسان .

لقد صمد الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا يغالب الطُّغيان ، ويصاول موجات الباطل ، ويستعذب الأذى ويحتمل الصِّعاب ، برحابة صدر ورباطة جأش وطمأنينة نفس ومضاء عزيمة ويقين ثابت بأن الله تعالى سوف يُعلي كلمته ، وينصر دينه ، ويؤيِّد عبده ولو كره المشركون وأعداء الله الجاحدون .

تُطالعنا سيرته عليه الصلاة والسلام أنه بُعث على رأس الأربعين من عمره بعد أن اكتمل شبابه ، واشتد أزره أو تهيأ لأمر الله الذي اختاره له ، فتلقى النبي ﷺ أوامر عديدة للقيام بالدعوة ؛ قال تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطَهِّر والرجز فاهجر ولا تمنُن تستكثر ولربك فاصبر ﴾ .

أوامر يسيرة في الظاهر – ولكنها بعيدة المدى والغاية قوية الأثر والفعل ، يأمر اللَّه نبيَّهُ ﷺ بأن يقوم بالإنذار – والإنذار هو أظهر ما في الرسالة – وتوجيهٌ له ﷺ بأن يوقظ البشرية ، ويخلِّصها من أدران الشرك والفساد ويدلها على طريق الخير ، قبل فوات الأوان ، وإشارة إلى ما سيلقاه من أذى المعاندين وسخرية المخالفين ، وآمرٌ له بالصبر على كل ذلك بقوة وجلادة لا لينال حظًّا من حظوظ نفسه ، بل لمجرد مرضاة ربه وهداية خلقه وظل رسول اللهِ ﷺ يدعو إلى الله سراً طيلة ثلاث سنوات ؛ فبدأ بألصق الناس به وآل بيته وأصدقائه وكل من يتوسم فيه خيرًا ممن يعرفهم ويعرفونه ، فأجابه جمع عرفوا في التاريخ الاسلامي بالسابقين الأولين ، ثم تنزل الوحي يكلِّف رسول الله ﷺ بمعالنته قومه ومجابهة باطلهم ومهاجمة أصنامهم .

وبدأت المرحلة الثانية وهي الدعوة إلى الله جهرًا ، وجاء نداء السماء بالأمر بإظهار الدعوة ، قال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، فدعا الرسول ﷺ فعمَّ وخصَّ ، وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلات بينه وبينهم وأن عصبيّة القرابة التي يقوم عليها القوم آنذاك قد ذابت في حرارة هذا الإنذار الآتي من عند الله تعالى ، ولم يزل الرسول ﷺ كذلك حتى نزل قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ ، فقام رسول الله ﷺ يُنْكر على خرافات الشرك وترهاته ،

ويذكر حقائق الأصنام ويضرب بعجزها الأمثال ، فهاجت قريش وماجت بالغرابة والاستنكار ، وأخذت تستعد لحسم هذه الدعوة التي اندلعت فجأة ، ويخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها ، ولجأت إلى أساليب شتى تقمع بها هذه الدعوة وتتخلص منها ، وهاك البيان :

٢- خصوم الدعوة ومسالكهم لمحاربة الدعوة ورجالها

كثيرًا ما تقابل الدعوات المخلصة التي يقوم بها الدعاة والمصلحون بالصدود والإعراض من جانب الصلف والكبرياء ، وكثيراً ما يلقى الدعاة إلى الله من أهل الشر والدعاة إليه صدودًا وإعراضًا وسخرية واستهزاءً وتعذيباً وإيذاءً ، وها هي قريش تتفجر بمشاعر الغضب وتموج بالغرابة والاستنكار حينما سمعت صوت الحق يرتجُّ دويُّه في أرجاء مكة ، فتلجأ إلى السخرية والتحقير والاستهزاء والتكذيب ، وقصدها من ذلك تخذيل المسلمين وتوهين قواهم بما يصفون به الرسول من تُهَم كاذبة ، وشتائم هزيلة فمرة ينادونه بالجنون ومرة يصمونه بالسحر والكذب ومرة يشوهون ما جاء به ويثيرون الشُّبهات والدعايات الكاذبة وينشرون الإيرادات الواهية حول دعوته ، ولمّا لم تفلح هذه البذاءات ولم تنجح هذه الافتعالات انتهى بهم المطاف إلى أن يصمموا على قتله وتفريق دمه بين القبائل ... وأنى لهم ذلك !!

قال تعالى : ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نورهِ ولوكره الكافرون ﴾ [الصف : ٨] .

وما أشبه اليوم بالبارحة !! فأعداء الدعوة والنَّاقمون عليها يحاربونها بشتى الوسائل والطرق ، ويقفون في وجهها وقفة العداء والكيد والتضليل ويتّهمون رجالها - زورًا وبهتانا - بالرَّجعية والتخلف عن مسايرة ركب الحضارة ، وما على الداعية إلا أن يستمسك بعزّته ولا يفرّط في رسالته ولا يفتُر عن الدعوة إلى الله ، فقد كان ﷺ يتحلى بالصبر والاستمرار على الدعوة ويجمع القلوب ويقرر أمر العقيدة السليمة ويغرس المبادئ الصحيحة في قلوب أصحابه بالتؤدة والأناة والحكمة والقوة ، ويوطِّن

نفسه على مواجهة العواصف العاتية ويجاهر بالنصيحة ، ويطلبُ الإِصلاح ويكون مثلًا أَعلى في كلّ شيء لتؤثِّر دعوته في القلوب ، وتؤثر في النفوس وتؤتي ثمارها الطيبة بإذن الله .

٣- الهجرة إلى المدينة عامل من عوامل تأمين الدعوة الإِسلامية .

إنَّ هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة كانت مَعينًا فيّاضًا بالتَّضحية والفداء ، ومن أعظم المواقف التي وَقَفَها الرسول ﷺ من خصومه ، إِذ غيَّر به مجرى الأحداث وضيَّع على خصومة فرصة الانتقام وأحبط مسعاهم ، وبلبل أفكارهم وأثبت فشلهم ، وأسفر عن تأييد الله له ، وحمايته من كيد الكائدين ، وطيش الطغاة والجاحدين .

إن النبي ﷺ حين عزم على الرحيل من مكة إلى المدينة أحكم خطة هجرته وأعدَّ لكل فرض عدته ، واستجمع كل أسباب الحيطة والحذر ، واستفرغ جهده في سبيل تأمين دعوته ، مستشعرًا قوة اليقين في نفسه وروعة الإيمان في قلبه ، وقد أصبح هو ومن آمن معه من أصحابه بعد بيعه العقبة الثانية - كما تعلمون يشعرون بأن قوة جديدة تقف إلى جانبهم وأن أرضًا طيبة تتهيأ لاستقبالهم ، من أجل ذلك أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة من مكة إلى المدينة ؛ فصاروا يتسللون من مكة في ظلام الكتمان والخفاء ، يحذرون قريشًا ويخشون خطرها ويرجون ألا تحول بينهم وبين الانتقال من هذا الوسط الخبيث وتلك البيئة الفاسدة إلى جوِّ المدينة الطاهر الجميل ، وهكذا أَشرقت المدينةُ بنور الحقّ ، وانتشرت فيها مبادئ الإِسلام ، وأصبحت مكانًا يأمن فيه المسلمون على أنفسهم من أذى المعتدين وطغيان الظالمين وقبل كل شئ هم قد أمنوا على دينهم ، الذي هو أعز عليهم من كل شئ وينضوون تحت لوائه ، وأخذوا في المدينة يدعون إلى الله ويؤدون العبادة ، آمنين مطمئنين .

(للبحث صِلَةٌ ...)

وقفات مع كتاب
« السلفيّة مرحلة زمنيّة مباركة لا مذهب إسلامي »

محمد سعيد البوطي
الحلقة الثانية

محمد فريز منفيخي

مناقشة الباب الثاني : تطبيقات عمليّة على المنهج

ينتقلُ المؤلّفُ في البابِ الثاني المسمّى (تطبيقات عمليّة على المنهجِ الجامعِ) وفي القسم الأوّل – منه – المعنون (أُصول وأَحكام لا مجالَ للاختلاف فيها) ، حيثُ يستعرضُ المؤلّفُ كما ذكرَ في السطرِ الثالثِ من الصفحةِ (٩٩) : « ونحن هنا إنَّما نسردُ طائفةً منها تطبيقًا لمقتضى المنهجِ الَّذي عرفناهُ » ، ثمَّ يعددُ المؤلفُ ستة عشر أَصلًا يصفها في الصفحة (١٠٦) السطر ٦ بأَنّها « أَبرز الأُصول والأَحكام الَّتي لا مجال للاختلاف فيها عند من التزم بالمنهج الجامع لفهم دين الله عزَّ وجلَّ وشرائع الإسلام » ، ويؤكدُ ذلك في الصفحة (١٠٧) السطر ٥ « أَنَّ هذه الأُصولَ والأَحكام الَّتي فرغنا من بيانِها ، وأَكّدنا أَنْ لا مجالَ لوقوعِ الاختلافِ فيها على ضَوْء المنهج الجامع ».

ثمَّ يَسيرُ قدمًا في حكمه فنجد في الصفحة (١٠٨) السطر ٥ قوله : « ممّا لا شكَّ فيه أَنْ يستلزم فسق المنكر أَو ابتداعه وانحرافه من خطّةِ الهدايةِ والرّشد ، وحسب ذلك غواية وضلالًا » ويتابعُ في السطر ١١ :

« فلئن كانَ الاعتمادُ على هدا المنهجِ أَمرًا متفقاً عليه ، ولا مجالَ للاختلافِ فيه ، فلا شكَّ أَنَّ الأَخذَ بهذه الأُصولِ والأَحكامِ المنبثقةِ عنه ، بل المنبثقة عن بنودِه المتفقِ عليها والمجمعِ على كيفيّةِ فهمها والتطبيق عليها هو أَيضاً أَمرٌ متفقٌ عليه ، ولا مجالَ للاختلاف فيه » .

لم نبتعدْ كثيرًا عن أَحكام المؤلفِ الأَحدَ عشرَ الَّتي سبقَ أَن ناقشناها ، الّتي كان آخرها في الصفحة (٩٤) ، الَّتي أَكّدَ فيها أَنَّ المنهجَ الجامع لا بدَّ وأَن يُنتجَ خلافات بين اللغويين ثمَّ بينَ علماءِ الشريعةِ بدءًا من العقائد ، وانتهاء بفقهِ السلوك وأَحكامِه ، وحتّى إِنَّ هذا المنهجَ الجامع لا يتكفل على أَقلِّ تقدير بتوفير عوامل الاتفاق وسدّ منافذ الاختلاف ، معتبراً ذلك من حكم الله الباهرة لنفاجأ بعد خمس صفحات بما ذكرناه أَعلاه من أَحكام قطعيّة لا مجال للاختلاف فيها ، فكيف نوفِّقُ بين الرأيين ؟! كيفَ نصفُ المنهجِ الجامع بما وصفه به في المائة صفحة الأُولى من الكتاب ، ثمَّ يستخرجُ على ضوئه أَحكامًا يصفها بأَنّها لا مجالَ للاختلاف حولَها ، ودونَ أَن يبيّنَ لنا أدلّة هذه الأُصول ولا مصادرها ولا كيفيّة استخراجها وَفقَ أُصول المنهج الجامع لنتعلم هذا الأُسلوب ونبرع فيه !!!

ولكنّه اعتذرَ عن ذلك في الصفحة (١٠٧) السطر الأَوّل « ولولا خوفُ شرودِنا عما نحن بصدده لَفَصَّلْنا القول في بيان وجه الدلالةِ القطعيّةِ على هذه الأُصول من خلال موازين هذا المنهج الجامع المتفق عليه ، ولكنَّ ذلك يبعدنا جدًّا عمّا نحن بصدده ، وهو الموضوعُ الَّذي عقدنا فصول هذا الكتاب لمعالجته وبيان وجهِ الحقّ فيه » ، فإِمّا أَن يكونَ موضوعُ ٤١٪ من الكتاب خروجاً كلّه عن الموضوع ، ولا علاقة له بعنوان الكتاب ! وإِمّا أَن يكون بحثاً مفيداً للمسلم فكان عليه بيانه !

سنستعرضُ الأُصول الواردة في هذا الكتاب ، ونناقشها لنبيّن كيف يمكنُ ألّا تكون متفقاً عليها بما لا يدعُ هناك أَيّ مجال للخلاف حولها :

الأَصل الأَوّل : يؤكدُ فيه المؤلفُ « بأَنَّ الدينَ عند اللهِ الإِسلام ، وكلمة الإِسلام بمعناها العام الَّتي وردت في القرآن الكريم ، وهذه بدهيّة وردت بالقرآن الكريم في آيات كثيرة ، ولا تحتاج إِلى قواعد منهج أَو ميزان لاكتشافها .

الأَصل الثاني : هو أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ واحد في ذاتِه وصفاته ، وهذا أَيضاً أَمر بدهيّ من بدهيان الإِسلام ، ولا يحتاجُ لجهد كبير لتأكيده أَكثر من سورةِ الإِخلاص .

الأُصل الثالث : صفات الله تعالى ثابتة له بإثباته إيّاها لنفسه ، وهذه أَيضاً من بدهيات القرآن الكريم .

أَمّا قولُ المؤلفِ : « فهي قديمةٌ قِدَمَ ذاته ، وكلامه من صفاته فهو قديم غير مخلوق » فهو من كلام المناطقةِ المعتمد على الفلسفةِ اليونانيّة المترجمةِ من اللغةِ العربيّةِ أَصلاً ، وقد قضى على زندقتها علماءُ المسلمين الأَفذاذ ، وعلى رأسهم أَبو حامد الغزالي حيث درسَ - كما هو معلوم - جميع فلسفات الزنادقة وردَّ عليها ، وأَثبتَ الفكر الإِسلاميّ بأَلفاظه ومنطقه ، وهكذا فإِنَّ علينا - نحن مسلمي اليوم - أَلّا نستعيرَ أَيّاً من أَلفاظ المتكلمين للتعبير عن الأُصول الإِسلاميّة ، وإِنّما نتكلّم بما تكلّم به اللهُ في القرآن الكريم ، وبما ثبَتَ عن رسوله الكريم ، وبما تداوله السلف الصالح ، لا نحيدُ عنها ولا نفترقُ ، وهذه لغةُ الإِسلام الّتي نستطيع التعبير عن الحقائق بمنطقها ولغتها ، وفي ذلك كفاية لكلِّ عاقل .

أَمّا كلمتا (قديم) و (محدث) فهما من مُصطلحات الفكر اليوناني الّتي وضعوها لجهلهم بالأَديان السماويّة ، وبحقيقةِ الخالق والخلق ، ولجهلهم أَيضاً بالعلوم الحديثه ، الّتي وضّحت قضايا الكون ومعنى الزمن ، وقد علمنا الآنَ أَنَّ الزمنَ هو وحدةُ الحركةِ بين المتقدم والمتأخر ، وبما أَنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو خالقُ الأَكوانِ وخالقُ حركتها المنضبطة بالثانيةِ ، هو بالتالي خالقُ الزمن ، لذلك فقبلَ أَن يخلقَ اللهُ الكواكبَ وحركتها الدقيقة لم يكن هناك زمن ، وبالتالي يسقطُ السؤال عن القبليّة والبعديّةِ الّتي يدخل فيها عنصرُ الزمن واضحاً ، وكذلك يسقطُ السؤال عن القدم والحداثةِ بالنسبةِ لله عزّ وجلّ ، وتبقى الحقيقةُ الأَزليّةُ ، وهي أَنَّ هناك خالقاً واحداً هو الأَوّلُ ، وليس معه شيءٌ ، وهناك مخلوقات أَوجدها وخلقها اللهُ بأَمره مثل الكواكب والأَكوان وما عليها ، والإِنسان ونسله والمخلوقات الأُخرى الّتي لا نراها ، وقد أَخبرنا الله عنها مثل الملائكةِ والجانّ .

والقرآنُ الكريم هو كلام الله عزّ وجلَّ الّذي أَنزله وحيًا بواسطة المَلَك جبريل

على قلب رسول الله ﷺ ، ونَقَلَه إليه بكلِّ الأَمانةِ والدقّةِ لفظاً ونطقاً ، هذه عبارات الإسلام وعُلمائه وهي كافية وافية ، ولا حاجة بنا – نحن المسلمين – لنستعير لغة أَحد لنعبّرَ بها عن ديننا ، ففي لغتنا القرآن الكريم ما يغني عن أَيّةِ أَلفاظ أُخرى .

الأَصل الرابع : تنزيه الله عن الشبه والنظير والتحيز والتجسد ، وهذا الأَصل متضمن بالأَصل الثالث ومتفق تماماً مع اتجاهات مذهب الإمام أَحمد ومنهج السلف الصالح .

الأَصل الخامس : يقول المؤلف في هذا الأَصل : « الخيرُ والشرُّ وفعل الإنسان وغير ذلك من الكائنات ؛ إنّما هو بمشيئةِ الله وخلقه » ، يعود المؤلف هنا إلى استخدام لغة الفلاسفة للتعبير عن الحقائق الإسلاميّة ، وذلك بقوله : « إنَّ كلَّ ما عدا الله فهو حادث بالضرورةِ إذ إنّه مخلوق ، والخلقُ لا يصدرُ إلّا ابتداء ، وقد ناقشنا قضيّة القدم والحداثة سابقاً » !

هنا نسأل المؤلف : هل للخير والشر وفعل الإنسان من الكائنات كما ذكر في الأَصل الخامس ؟ طبعاً لا نعتقد أنَّه يقصد ذلك ، إننا لا نهتم بالدفاع عن فكر المعتزلة ، فهم وقضاياهم انتهوا في وقتهم ، ولم تعد مماحكاتهم الفكريّة تشغل أَحداً الآن ، إلّا أَننا نتبعُ صريح نصّ القرآن الكريم كلام الله تعالى إذ يقول : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبّئكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة : ١٠٥] ، ويقول تعالى : ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إنّي عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنّه لا يفلح الظالمون ﴾ [الأَنعام : ١٢٥] .

ولا يتسعُ المجال هنا لذكر جميع الآيات الحاثّة على العمل ، إذن فما دامت هناك محاسبة على العمل فلا بدَّ أَن يكونَ الإنسان حرّا في اختيار عمله وتنفيذه وإرادته ، وهذا عين العدل الإلهي .

أَمّا لغةُ الفلاسفة واصطلاحتهم فلا يسعنا لا استخدامها ولا مناقشتها ؛ لأَنّها تختلفُ في مبدئها ومُنتهاها عن الفكر الإِسلاميّ ، عن كلامِ الله عزَّ وجلَّ ، ووصفه لنفسه في كتابه الكريم ، وهو ما نحرصُ على فهمه والكلام بأُسلوبه لا غير .

الأَصل السادس : قضيّة القضاء والقدر وهداية الله وتوفيقه لعباده ؛ لا شكَّ في يقين المسلمين بها ، إِنّما يمكن الإِضافة بشأن طبع الله على قلوب الضالين الجاحدين إِنّما يتمّ بسبب ضلالهم وجحودِهم ، وليس لظلم الله إِيّاهم أَو قسرهم على طريق الشقاء لا سمحَ الله .

الأَصل السابع : التفريق بين الكفر الاعتقادي والفسق بالذنوب ، هو من الأَمور المتفقِ عليها أَيضاً .

الأَصل الثامن : رؤية الله تعالى يوم القيامة مؤكَّدة بصريح الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة .

الأَصل التاسع : سؤال الملكين وعذاب القبر مؤكَّدٌ أَيضاً بصريح الكتاب والسنّة النبويّة المطهرة .

الأَصل العاشر : حبُّ الصحابة والسلف مستحسن ، ولكن ليس له دخل بالعقيدة نفسها ، لكن من يحبُّ الله ويحبُّ رسولَه الكريم لا بدَّ وأَن يتبع ذلك حبّ من يحبّهم من صحابة رسول الله والتابعين ، وبكلّ مؤمن بالله والأَخص من ذلك حبّ من يحبّ الله من الأَحياء ، وهذا ما أَكّده رسول الله ﷺ بحديثه الصحيح : « لن تدخلوا الجنّة حتّى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتّى تحابُّوا ، أَلا أدلُّكم على شيءٍ إِن فعلتموه تحاببتم ؟ أَفشوا السلام بينكم » .

الأَصل الحادي عشر : جمع كلمة المسلمين على أُصول الهداية والرُّشد أَصل مؤكّد ، ويستتبعُ ترك كلّ ما من شأنه تفريق فهم المسلمين لدينهم بسبب منهج تمّ اكتشافه بعد عهد السلف الصالح يفرّق ولا يجمع ، يشتتُ الأَفكار ولا يُوَحِّدها .

الأَصل الثاني عشر : أَشراط الساعة الّتي أَخبر عنها الصادقُ المصدق ثابتة بالكتاب والسنة .

الأَصل الثالث عشر : إِنكار الابتداع مطابق لنصّ حديث رسول الله ﷺ .

الأَصل الرابع عشر : احترام أَئمةُ المذاهب في اجتهاداتهم وأَعمالهم شيءٌ جيد ، وهم قدوة صالحة لنا ولعلمائنا على الأَخص ليتأسوا طريقهم في استنباط الأَحكام وفق الكتاب والسنّة والرأي ، وذلك لما استجدَّ من ظروف ومعاملات وأَوضاع لم تكن في عصورهم ، كنقل الأَعضاء وأَطفال الأَنابيب والتلقيح الصناعي والمعاملات الماليّة الجديدة .

الأَصل الخامس عشر : الإِقبال على تعلُّم العلوم والتعمّق فيها هو فرض إِلهي ، تمَّ إِنزاله في أَوّل آية من آيات القرآن الكريم ﴿ اقرأ باسم ربِّك الّذي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسانَ من عَلَق اقرأ وربُّك الأَكرم الّذي علَّم بالقلم علَّمَ الإِنسان ما لم يعلم ﴾ .

ولا ريبَ أَنَّ تعلُّمَ المنطق اليوناني القديم والفلسفة غير الإِسلاميّة تُعدُّ من إِضاعةِ الوقت الّتي تقرِّب من تعلّم الضارَ من العلوم ، إِنّما العلم المطلوب تعلّمه هو كلّ علم نافع لحياة الإِنسان ومعيشته ولاكتشاف إِعجاز خلق الله في الآفاق وفي النفس .

الأَصل السادس عشر : إِنَّ الدين هو إِيمان وإِسلام وإِحسان ، وهو نصّ حديث رسول الله ﷺ .

ومن استعراضنا لهذه الأُصول نجد أَنَّ سبعاً منها يتعلّق باللهِ عزَّ وجلَّ وهي من الثوابت ، وأَربعاً منها حول عذاب القبر وأَشراط الساعة والبدع والإِيمان والإِسلام والإِحسان ، وهي أَيضاً من الثوابت في الدين ، ثمَّ خمسة أُصول عامّة حول عدم كفر المسلم بذنب ، وضرورة التعلُّم ، وهو من المتممات الّتي تعدّ من أَساسيّات الإِيمان والعقيدة ، وهنا يمكن أَن نسألَ المؤلف : لماذا اقتصر استعراضه على هذه الأُصول فقط دون كثير من المبادئ الإِسلاميّة المبثوثة في كتاب الله وسنّة نبيّه ؟ ونستطيعُ أَن نخمّن

الجواب على ذلكَ بأَنَّ هذه الأُصول فقط هي نتاج المنهج الجامع الّذي تم ابتداعه وتسجيله فيما بعد ، وهذا يعني ببساطة أَنَّ المنهج الجامع على ضوء هذه الأُصول المحدودة قاصر عن فهم الدين الإسلاميّ ، علاوة على شرح هذا الدين .

ثمَّ ينتقل المؤلف بعد ذلك في (ثانيًا) ليوضح بعض الشذوذ والانحرافات الّتي يقول عنها : إِنه لا ريب في بطلانها ! ثمَّ ليناقش قضايا الكفر والتصوّف ، ثمَّ ينتقل لبحث مسائل وآراء لم يتمخض وجه الصحّة أَو البطلان فيها مثل النصوص المتشابهة ثمَّ البدعة والتصوف ، وضمّن ذلك ثلاثين صفحة سماها وقفة مع ابن تيميّة ، الّتي حاول أَن يوضح فيها بعض العبارات الفلسفيّة الّتي دخلت بعض مؤلفات ابن تيميّة ، والتي يمكن أَن تمسَّ أَو تخالفَ ما أَجمعَ عليه السلف الصالح من الصفات ، وهذه الوَقْفة ما كان لها أَن تكتب لعدّة أَسباب ، نلخصها كما يلي :

١ - أَنّ صاحبَ المؤلفات قد انتقل إِلى رحمة ربّه منذ مئات السنين ، وبالتالي لا يمكنه الدفاع عن نفسه .

٢ - يمكن أَن تكون هذه الشذرات من المغالطات الّتي وقف عندها المؤلف في كتابات ابن تيميّة مدسوسة عليه ، كما أَشار المؤلف إِلى وقوع ذلك في مؤلفات ابن عَرَبي !

٣ - إِذا كان كلُّ إِنسان يؤخد منه ويردُّ عليه فلماذا لا يكتفي المؤلف بأَغلب المؤلفات القيّمة الّتي تركها ابن تيميّة ، ويتجاوز بعض النقاط الّتي لا تهم لا المتكلمين والفلاسفة ، وهم قلّة بالنسبة لعدد المسلمين المستفيدين من علم ابن تيميّة .

٤ - إِذا كان المؤلف يقول في حاشيته على وقفته مع ابن تيميّة في الصفحة (١٥٨) إِن : « مقتضى منهج النقد الإِسلامي في هذه الحال حسن الظن بالباحث الّذي لم يعرف سوى الخبر وترجيح أَنّه استقر على هذا الحق ، وتجاوز ذلك الباطل ، وهذا ما سننتهي إِليه في هذه الوقفة ، وهو ما ينبغي أَن يعامل به كلُّ الكاتبين والباحثين

من العلماء المشهود لهم بالخير » ! فلماذا يناقض المؤلف نفسه ، ويكتب هذه الوقفة الّتي استغرقت ثلاثين صفحة ؟ وما فائدتها للقارئ الّذي يمكن ألّا يلتفت إلى بضعة سطور في مؤلفات كثيرة مفيدة ؟

مناقشة الباب المعنون : (التمذهب بالسلفيّة بدعة لا يقرّها اتّباع السلف) !

بعد أَن تجاوزنا ٢١٧ صفحة من الكتاب أَي بنسبة ٨٤ ٪ منه ، ولم نعثر بعد على أَي أَثر لعنوان الكتاب ، إلّا أَننا وجدنا في الصفحة (٢٢١) عنوان الباب الثالث المذكور أَعلاه ، هذا الباب يستغرق فقط ٣٨ صفحة من الكتاب ؛ أَي : بنسبة ١٥٪ منه ، فإذا في هذا الباب .

يكرر المؤلف في هذه الصفحات فكرة واحدة ، وهي كما جاءت في الصفحة (٢٢١) السطر ١٢ : « أَي : التمذهب بمذهب جديد اسمه السلفيّة يقوم على عصبيّة الانتماء شيء آخر لا شأنَ له بالاتباع المطلوب ، بل لا يتفق معه ، ثمَّ يعطينا فكرة تاريخيّة على ظهور مذهب السلفيّة » – كما يسميه – فيقول في بداية الصفحة (٢٣١) : « ولقد أَصغينا طويلاً ، ونقّبنا كثيراً فلم نسمع بهذا المذهب في أَيّ من عصور الإسلام الغابرة » ، ثمَّ في الفقرة التالية : « وهكذا فقد مرَّ التاريخ الإسلاميّ بقرونه الأَربعة عشر دون أَن نسمع عن أَيٍّ من علماء وأَئمةِ هذا القرون أَن برهان استقامة المسلم على الرّشد يتمثل في انتسابهم إلى مذهب يسمّى السلفيّة ، وفي السطر الأَخير من الصفحة نفسها يقول المؤلف : « لعلّه مبدأ ظهر هذا الشعار – السلفيّة – كانَ في مصر إبان الاحتلال الانجليزي لها ، وأَيّام ظهور حركة الإصلاح الديني الّتي قادها وحمل لواءها كل من جمال الدين الأَفغاني ومحمد عبده » ، ريشرح لنا معنى هذا الشعار بقوله في الصفحة ٢٣٣ السطر ٥ : « فقد كان الشعار الّذي رفعه أَقطاب هذه الحركة الإصلاحيّة هو السلفيّة ، وكان يعني الدعوة إلى نبذ الرواسب الّتي عكّرت على الإسلام طُهره وصفاءه من بدع وخرافات ، وتقوقع في

أَقبية العزلة ، وبعد عن الحياة » .

ويضيفُ في السطر ١٤ : « لقد كان من الممكن ربط هذه المعاني السليمة السامية التي تعبّر عن حقيقة الإِسلام في كلّ عصر بشعار آخر غير كلمة السلف أَو السلفيّة ، وهل ثمّة شعار أَلصق بهذه المعاني وأَصدق في التعبير عنها من كلمة الإِسلام ذاتها !؟ » ، ويضيف المؤلف بعداً تاريخيّاً ثانياً فيقول في الصفحة (٢٣٥) السطر ١٢ : « وقد كان بين المذهب الوهابي هذا والدعوة الّتي حملها رجال الإِصلاح الديني في مصر قاسم مشترك يتمثّل في محاربة البدع والانحرافات ، لا سيّما بدع المتصوفة ، فراجت كلمة السلف والسلفيّة بين أَقطاب المذهب الوهابي » .

ويضيفُ في الصفحة (٢٣٦) السطر ٥ : « ليوحوا إِلى الناس بأَنَّ أَفكار هذا المذهب لا تقف عند محمد بن عبدالوهاب بل ترقى إِلى السلف ، وأَنّهم بتبنّيهم لهذا المذهب أُمناء على عقيدة السلف وأَفكارهم ومنهجهم في فهم الإِسلام وتطبيقه » .

ويعرف المؤلف « السلفيّ » في الصفحة (٢٣٧) الفقرة الثانية فيقول : « السلفيُّ اليوم كلُّ من تمسّكَ بقائمة الآراء الاجتهاديّة المعنيّة ، ودافع عنها وسفّه الخارجين عليها ، نسبهم إِلى الابتداع » ، أَمّا من أَين تعرّف المؤلف على المذهب السلفيّ فلم نجد إِلّا ثلاثة مصادر :

« المصدر الأَوّل : الصفحة (٢٣٨) الفقرة الثانية بقوله : « كنّا نصلّي العشاء جماعةٍ ذات ليلة في إِحدى البلاد العربيّة ... فقام أَحد الحاضرين ، وكان سلفيّ المذهب ، وفارق الجماعة » .

المصدر الثاني : الصفحة (٣٤٠) الفقرة الثالثة : « ولقد أَصغيتُ إِلى أَحدهم يُلقي محاضرة في إِحدى الندوات يحدد فيها معالم المذهب السلفي » .

المصدر الثالث : الصفحة (٢٥٧) السطر ٣ : « وردت كلمة في كتاب « حوار مع المالكي » لعبدالله بن سليمان بن منيع : « لقد تتابعت سموم هذا الضالّ

المضلّ على العقيدة السلفيّة فيما ينشره من مؤلفات » .

ويلخص المؤلف النتيجة الّتي وصل إليها في نهاية الصفحة (٢٤١) بقوله : « لقد اتضح إذن أخي القارئ بما لا يدع مجالاً للريب أنَّ السلفيّة مذهب جديد مخترع في الدين ، وأن بنيانه المميز قد كوَّنه أصحابه من طائفة من الآراء الاجتهاديّة في الأفكار الاعتقاديّة والأحكام السلوكيّة اقتفوها وجمعوها من آراء اجتهاديّة كثيرة قال بها كثير من علماء السلف وخيرة أهل السنّة والجماعة » .

يتوقف المؤلف عن هجومه على السلفيّة ، ويستدرك في الصفحة (٢٤٦) الفقرة الثالثة فيقول : « على أنّ إغلاق هذا الباب لا يعني بالضرورة تخلّي هؤلاء الإخوة عن آرائهم ومذاهبهم الاجتهاديّة الّتي انتهوا إليها واقتنعوا بها بل المطلوب منهم بمقتضى الشرع وقواعده أن يتمسكوا بما انتهت إليه جهودهم الاجتهاديّة الصحيحة ، ولا يسعهم إلّا ذلك ، وأنا شخصيّاً مقتنع بكثير من تلك المذاهب والآراء ، آخذ نفسي بها ، وأُدافعُ عنها بما أملكه من الحجج والبراهين العلميّة » !

ويضيفُ في الخاتمة والخلاصة الصفحة (٢٥٣) السطر ٤ : « ... لوجدتني أُؤيد السلفيّة في كثير أو بعض ما يذهبون إليه » وفي آخر صفحتين من الكتاب (٢٥٨) الفقرة الثالثة : « وصفوة القول : إنّنا لا نريد من هؤلاء الإخوة أن يتخلُّوا عن آرائهم الاجتهاديّة الّتي اقتنعوا بها ، بل لا نملك أن نريدَ منهم ذلك ، بل إنّهم في أنفسهم لا يملكون فيما يقضي به الشرع إلّا أن يتمسكوا بها » ، ويضيف المؤلف بأنَّ كلَّ المطلوب من السلفيين في - الصفحة نفسها السطور الأخيرة - « أنَّ ينتبهوا إلى أنَّ المسلمين يسعهم أن يأخذوا في هذه المسائل وأمثالها بما قد يهديهم اجتهادهم إن كانوا أهلاً للاجتهاد ضمن دائرة المرسوم لهم جميعاً ، ولا عليهم أن يتفقوا في نتيجة اجتهاداتهم هذه أو يختلفوا فيها ، فكلُّهم مقبول بفضل الله ورحمته ومأجور » .

إذا أردنا أن نناقشَ المؤلف في ما ذهب إليه في هذا الباب الأخير ، فإننا نجد

الأَفكار التالية :

١ - يؤكد المؤلف أَنَّ التمذهب بالسلفيّة من ظواهر القرن الهجري الحاليّ ، وليس له أَبعاد تاريخيّة قديمة .

٢ - يقولُ المؤلف : إِنَّ شعار السلفيّة رُفع في مصر إِبان الاحتلال الإِنجليزي من قِبَل دعاة الإِصلاح الديني هناك ، أَي : إِنَّ هذه الكلمة عدت شعار حركة ، وليست مذهباً دينيّاً .

٣ - يضيفُ المؤلف أَنَّ كلمةَ السلف والسلفيّة راجت بين أَقطاب المذهب الوهابيّ ، وهنا أَيضاً يشير المؤلف أَنَّ السلفيّة ليست مذهباً دينيّاً ، ولكنّها كلمة راجت بين أَقطاب مذهب آخر هو المذهب الوهابي ، ونقول : إِنّه لم يدَّعِ أَحدٌ وجودَ مذهب باسْم المذهب الوهابيّ ، إِنّما هي حركة إِصلاح ديني أَيضاً لمحاربة البدع معتمدة على مذهب الإِمام أَحمد بن حنبل .

٤ - كما أَنَّ رفع شعار الاقتداء بالسلف الصالح من صحابة رسول الله ﷺ ، والتابعين وعدم اعتبار هذا الاقتداء مذهبا جديداً في الدين يعدُّ تنفيذاً لوصية الرسول « عليكم بسنتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي » .

٥ - ينتقلُ المؤلف من شعار السلفيّة إِلى تعريف السلفيّ بأَنّه كلُّ شخص متماسك الأَركان ، له مطبوعاته ، وله مبادئه وآراؤه ، بحيث يمكن الاطِّلاع عليها ومناقشة أَدلتها وشروحاتها ، وتبيان ما يتفق منها مع الشريعة المطهرة ، وما يختلف معها ، ولكنّها حالات فرديّة خاصّة ، شاهدها المؤلف كما يصرّح في مصادره الّتي عدّدناها سابقاً .

٦ - يدفعنا المؤلف معه دفعاً إِلى القول إِنّه يتبيّن بما لا يدع مجالاً للريب أَنَّ السلفيّة مذهب جديد مخترع في الدين ، وهو ما لم نجد له سنداً لا من مؤلف ولا من داعية ولا من كتاب ، فهل يكفي أَن يلتقي المؤلف بشخصين ! ويقرأ كتاباً فيه كلمة

أَو كلمتين ! أَن يندفع إِلى تأليف كتاب كامل ليقول لنا : إِنّه ظهرت بدعة جديدة في الدين يريد وقفها !؟

٧ - يتراجع المؤلف تراجعاً كاملاً عن انتقاده السلفيين ، فأَطلق عليهم إِنّهم إِخوة ، وأَنَّ عليهم أَن يتمسكوا بآرائِهم ومذاهبِهم الاعتقاديّة ، وأَكّد أَنّه شخصيّاً مقتنع معهم بكثير من تلك المذاهب والآراء ، وأَنّه يأَخذُ نفسه بها ؛ أَي : يطبقها تماماً ، ويدافع عنها بكلِّ الحجج والبراهين ، ويؤكّدُ هذه المقولة في ثلاثة مواضع في آخر الكتاب وخاتمته .

فيا سبحان الله إِذا كان مَن كتب الكتاب كلّه في انتقادِهم وتبيان خطأ اتجاههم ، وبدعة مذهبهم يرى أَنّهم على حقّ ، ويطلبُ منهم عدم التراجع عن آرائهم ، وأَنّه مقتنع معهم بها ، ويدافعُ عنها ، فما المشكلة إِذن ؟!! ولماذا تمَّ تأليف هذا الكتاب ؟!! ولماذا وضع له هذا العنوان ؟!!

٨ - هل يطلب المؤلف شيئاً من السَّلَفيّين ؟ أَبداً ، لا يطلب منهم شيئاً ، لأَنّهم على حق في جميع آرائهم الاجتهاديّة ، وإِنّما انصبَّ غَضَبُ المؤلف على القول بوجود مذهب سلفي أَوعقيدة سلفيّة ، حَسْبُ .

٩ - يتلطف المؤلف أَخيرًا مع الإِخوة السلفيين ، ويرجوهم رجاء واحدًا لا غير وهو أَن ينتبهوا إِلى أَنَّ بقيّة المسلمين من غير مجتهدي السلفيّة يسعهم أَن يأخذوا باجتهادات أُخرى غير تلك السلفيّة ؟! ولم تدرِ هل يتفق المؤلف معها أَيضاً أَم أَنّه يلتزم فقط بالتزامات السلفيين ؟! وبالتالي يخالف معهم بقيّة المسلمين ، إِلّا أَنّه يُطمئننا جميعاً بأَنَّ المسلمين كلّهم مقبول بفضل الله ورحمته ومأجور ، والحمد لله على ذلك لنا جميعاً .

١٠ - خلاصة القول : إِنَّ عنوان هذا الكتاب لا يتفق أَبداً مع مضمونه ، إِذا أَنَّ البابَ الثالث الّذي يعكس العنوان يتشكل من ٣٨ صفحة فقط من الكتاب ، وحتّى

هذا الباب الّذي يتوقع منه أَن ينتقد السلفيين فيه ، ويبيِّن وجهة نظرِهِ ، ودلائله في ذلك ، تبيّن منه أَنَّ المؤلفَ يؤيدهم ويلتزم اجتهاداتهم ، ويدافع عنها ، ولا يطلب منهم شيئاً ، بل كلُّ ما يطلبُه منهم أَن يتسامحوا مع بقيّة المسلمين في آرائِهم واجتهاداتِهم ، وكلّهم مقبول من الله ومأْجور .

أَمّا بقيّةُ الكتاب وأَغلبه – الّذي طرح فيه المؤلف المنهج الجامع الّذي يصرّح فيه بأَنّه معتمد لتفسير النصوص الإِسلاميّة والمصادر التشريعيّة – فقد وجدنا فيها اختلافاً كثيراً ، وبأَنَّ هذا المنهج الميزان يولّد من الخلافات والتناقضات أَكثر من أَن يحلّها بصريح قول المؤلف ، ووجدنا المؤلف في الباب الثاني يخالف منهجه الجامع ، ويستعرض ستةَ عشر أَصلاً ، يؤكدُ بأَنّه لا مجالَ للاختلاف فيها أَو عليها ، وقد ناقشنا بعضها ، وتبيّن وجود بعض الاختلافات فيها على عكس ما يؤكد المؤلف ، وهذا هو مصداق قول الله عزَّ وجلَّ في كتابِه الكريم : ﴿ **أَفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافاً كثيراً** ﴾ [النساء : ٨٢] .

وهذه الاختلافات في فكر المؤلف نفسه دليل على بشريته ، وكلّ الّذي نطلبه من المؤلف أَن يعيدَ قراءة كتابه على ضوء ما قلنا وقال غيرنا لمحاولة تقليل هذه الاختلافات إِلى أَدنى حدٍّ ممكن !

واللهُ وليُّ التوفيق ، وهو الهادي إِلى سواء السبيل .

حول قصيدة البُردة

د . محمد المغراوي

إِنَّ من أَهمِّ مساوئ الفكر الصوفيّ - قديمًا - حضّه الناسَ على قراءة القصائد الشعريّة البدعيّة ، ممّا أَدّاهم إِلى ترك كتاب الله وراءهم ظهريًّا .

وكذلك فعلوا في وقتنا الحاضر ، فجنّدوا أَنفسهم للسير في هذه المسيرة المشؤومة ، والتي مفادها الإِعراض عن كتاب الله وعن سنّة رسوله ﷺ ، وجعلوا هذه المسيرة المشؤومة ضمن دعوتهم الإِسلاميّة المزعومة ، وأَلّفوا في ذلك الكتب والمقالات، يبينون للنّاس فيها مشروعيّة هذا العمل ، وكأَنَّ أُمة محمد ﷺ تجهل ما صحَّ عن رسول الله ﷺ في الشعر المباح الذي يخضع لكلِّ موازين المباح ؛ فحسنه حسن ، وقبيحه قبيح ، وينزلون هذه الأَحكام غي غير موضعها .

أَمّا إِنشاد قصيدة أَو قراءتها أَحيانًا ، فهذا أَمر صحَّ عن رسول الله ﷺ أَنّه سمع شعرًا ، بل قال : « إِنَّ من الشعر لحكمة » ، ولكنَّ اجتماع المُسلمين اجتماع القُربة إِلى الله لم يكن إِلّا على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، أَمّا ما يُفعل في الوقت الحاضر من ضرب الدفوف وتلحين القصائد ، فلا شكَّ أَنَّه من فعل المخنّثين ، والدفاع عن هذا الأَمر هو نصرة للباطل .

هذا من جهة .

ومن جهة أُخرى ضياع القرآن بين أَظهر المسلمين حفظًا وقراءةً وعملًا ، وتكالب جميع أَعداء الإِسلام عليه بكلِّ وسائلهم ،وضيقوه بجميع مناهجهم ، وأَبعدوه من ساحة عملهم ، فهلّا اجتمع المسلمون على نصرة كتاب الله حفظًا وعلمًا

وعملًا ، ولكنْ كيف يَشتغل بكتاب الله من يطلب المناصب الدنيوية ويشارك في كلّ شرٍّ بزعم أنّه يريد نشر الإسلام ، وهو لعَمْر الله هدمٌ لكيانه وتَشْويهٌ لمعالمه ؟!

ولو كان هذا العمل الباطل الذي يقوم به الصوفيّةُ - وتبعهم فيه الحركيّون - صحيحًا ، لكان سلفنا الصالح أَحقّ به ، وكما قيل : فاقد الشيء لا يعطيه ، فهم فاقدون لقدر كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ولا يحسنون إلّا البهرجة واللغط ، وما سوى ذلك من دعوة لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فهم بعيدون منها ، وهم جاهلون لها ، نسأل الله السلامة والعافية .

وهاك مثالًا توضيحًا لذلك قصيدة البردة المعروفة المشهورة مع توضيح يسير وتنبيه صغير لما في أَبياتها من الشرك والغلوّ ، حتّى يعلم القرّاء خطر هذا الموضوع ، وأَثره السلبي على أُمّة محمد ﷺ .

*** تعريف بالشاعر البوصيري :**

لقد كتب الأُستاذ عبدالبديع صقر نقدًا لـ « البردة » ، وكتب مقدمة على البوصيري وقصيدته ، رأيت من المفيد أَن أَنقلها في هذأ البحث ؛ ليعلم القرّاء خطر هذا الموضوع .

قال الأُستاذ عبد البديع :

« لقد ولد البوصيري ببلبيس من أَعمال محافظة الشرقيّة ٦٠٨هـ / ١٢١٢م ؛ أَي : في عهد الدولة الأيوبيّة ، واسمه محمد بن سعيد بن حمّاد الصنهاجي ، وينسب إِلى بلدة أَبو صير من أَعمال بني سويف بمصر ؛ لأَنَّ أُمّه منها ، وأَباه من بلاد المغرب ... وكان البوصيري معدودًا من الشعراء المجيدين ، يعالج فنّ الكتاب والشعر ...

ومن أَشهر قصائده « البردة » التي مطلعُها :

أَمن تذكُّر جيران بذي سَلَم

والهَمْزيّة التي مطلعها :

كيف ترقى رقيَّك الأَنبياءُ

ومعارضة قصيدة « بانت سعاد » التي مطلعها :

إِلى متى أَنْت باللَّذَّات مشغول

وتوفي المؤلف سنة ٦٩٦هـ / الموافق ١٢٩٦م ؛ أَي : قبل أَكثر من سبعة قرون ...

ويتضحُ من هذه الترجمة المختصرة الواردة في الكتب المعتمدة أَنَّ الرَّجل كان معدودًا في الشعراء ، وليس من الفقهاء ولا العلماء ، كما أَنَّ انحداره من عائلة مغربيّة يعطي احتمالًا بأَنْ يكون له ارتباطٌ بالفاطميين ، شأنه في ذلك شأن أَحمد البدوي والشعرانيّ وأَبي الحسن الشاذليّ ، كما أَنَّ مصر في تلك الأَيام كانت في قمّة التأثّر بالصوفيّة واتجاهات العبيديين الفاطميين ، بل إِنَّ تلك الفترة من التاريخ الإِسلاميّ كان لها تأثير مهمّ جدًّا على مصر خاصّة وعلى باقي بلاد الإِسلام عامّة ؛ إِذ كانوا ينقلون دائمًا عن مصر ، ويعتبرونها من أَهمّ مراكز الثقافة الدينيّة .

وقد نجح الأَيُّوبيُّون في القضاء على الدولة الفاطميّة سياسيًّا ، وغيَّروا منهج الدارسة في المدارس الكُبرى ، ولكنّهم لم يستطيعوا أَن يقضوا تمامًا على الأَفكار المسيطرة على أَذهان الشعب في مصر وجاراتها، بسبب استناد تلك الأَفكار إِلى عاطفة الحبِّ لرسول الله ﷺ ، متمثلًا في آل بيته ؛ فقد دأَبَ الفاطميّون خلال قرنين من الزمان على تعميق هذه العاطفة في النفوس ؛ باعتبارها كانت من الدعائم الرئيسيّة في تثبيت أَقدام الغزاة القادمين من المغرب .

إِنّ الدعوة الفاطميّة ساعدت على انتشار الأَفكار الصوفيّة ؛ لأَنّها تخدم أَهدافها وتتمشّى مع سياستها ، فازدهر التصوّف في هذه الفترة ، ولم يستطع الحكّام الأَيّوبيُّون أَن يحاربوا الصوفيّة كما حاربوا الفاطميّة ، بل تظاهروا بأَنّهم منهم ، وتقرّبوا إِليهم ،

وكانوا في سبيل كسب عواطف الجماهير يتعمَّدون إِظهار محبتهم لهم وتوقيرهم إِيّاهم .

* **ظروف كتابة القصيدة :**

قالوا في سبب تسميتها : إِنَّ المؤلف كان أُصيب بمرض عُضال لم ينفع فيه العلاج ، لكنّه كان يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ، فرآه في المنام ذات ليلة يغطيه ببردته الشريفة ، ولما قام الرجل من نومه ؛ لم يجد مرضًا ولا أَلمًا ، فحصلت له حالة من الانجذاب والهيام في حبِّ الرسول ﷺ ، وأَنشأَ فيه هذه القصيدة « البردة » وغيرها من القصائد التي لا تكاد تخرج عن مضمونها .

قلت : كيف تصحُّ هذه الرؤية ، والقصيدة مباينة لدعوة التوحيد التي جاء بها النبيّ ﷺ كما سيأتيك تفصيلُه وبيانُه ؟!

وقد اشتهرت هذه القصيدة ، وترجمت إِلى عدّة لغات ، وصار النّاس يتعبّدون بتلاوتها في المولد والمناسبات ، وفي تشييع الجنائز ، وشغلوا بها حتّى عن تلاوة القرآن الكريم .

ومن ضِمن أَبيات القصيدة قولُه :

مَولاي صَلِّ وسَلِّمْ دائِمًا أَبدًا على حَبيبِك خَيرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

فهذا البيت (عندهم) ينبغي قراءته بعد كلِّ بيت من أَبيات هذه القصيدة ، وذلك لما يروى أَنَّ الإِمام الفرنوي كان يقرؤها كلَّ ليلة ليرى النبيّ ﷺ في منامه ، فلم تُيسّر له الرؤيا ، فشكا ذلك إِلى شيخ كامل ، فقال له : إِنَّ لها شرطًا ، وهو أَنْ تصلي بالصلاة التي كان يصلي بها الإِمام البوصيري رضي الله عنه على النبيّ ﷺ ، وهو قوله :

مَولاي صَلِّ وسَلِّمْ دائِمًا أَبدًا على حَبيبِك خَيرِ الخَلْقِ كُلِّهِمِ

عقب كلّ بيت من أَبيات القصيدة ، وإِنْ شقَّ على القارئ ؛ فيكفي بترديده

بعد كلِّ فصل من فصولها .

وحكمة اختيار هذا أَنَّ الإمام البوصيري رضي الله عنه أَنشد هذه القصيدة بين يدي النبيّ ﷺ في منامه ، حتّى أَتى إلى قوله :

فمبْلَغُ العِلْمِ فيه أَنّه بَشَرٌ .....

ولم يستطع تكميل البيت ، فقال له النبيّ ﷺ : اقرأ ، فقال رضي الله عنه : إنّي لم أُوفَّق للمصراع الثاني ، فقال له عليه الصلاة والسلام : قل :

..... وأَنَّه خَيرُ خلقِ اللهِ كُلِّهِم!!

فالاعتراض عليه يأتي من عدّة وجوه :

الأَوّل : فهمنا لقول الله تعالى : ﴿ ولقد كَرّمْنا بني آدم وحَمَلْناهم في البَرِّ والبَحْر ورَزَقناهم من الطيّبات وفضّلناهم على كَثيرٍ ممّن خَلَقنا تفضيلًا ﴾ ، والرسول ﷺ من بني آدم ، ولم تقل الآية : فضّلناهم على جميع من خلقنا ؟

الثاني : أَنَّ الرسول ﷺ قال : « أَنا سيّد ولد آدم ولا فخر » [1] ، ولم يقل : أَنا سيّد العالمين ، وكان ذلك في موقف يحتاج للاستعلاء بالدين الذي ختمت به الرسالات ، ولكنّه في أَكثر من موضع قبل ذلك وبعده كره أَن نفضله على الأَنبياء والمرسلين ، وأَكّد الأُخوّة ووحدة الهدف ؛ تمشيًا مع نصوص القرآن الكريم ، في مثل قولِه تعالى :﴿ لا نُفَرِّق بينَ أَحدٍ مِنهم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ ولم يُفَرِّقوا بَيْنَ أَحدٍ مِنْهُم ﴾ .

الثالث : أَنَّ رسول الله ﷺ نهى عن مدحه في مواضع كثيرة من أَحاديثه الصحيحة :

فمن ذلك ما ورد عن أَنس ؛ قال : جاء إلى النبيّ ﷺ رجل ، فقال : يا خير

---

(١) رواه مسلم .

البرية ! فقال رسول الله ﷺ : « ذاك إبراهيم » . رواه مسلم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ قال : سمعت النبيّ ﷺ يقول : « لا تطروني كما أَطرت النّصارى عيسى ابن مريم ؛ إِنَّما أنا عبدالله ، فقولوا : عبدالله ورسوله » ، رواه البخاري ومسلم .

أَمّا قوله : « لما يروى » ؛ ففيه دلالة على ضعْف السند بسبب البناء للمجهول ، فمن الذي روى ؟!

وقال الناشرُ المجهولُ : « إِنَّ الشيخ الفرنوي كان يقرأ القصيدة ليرى النبيّ ﷺ».

فهذا يدلّ على ضعف إِدراك الشيخ الفرنوي ، فرؤية الرسول ﷺ لا توضع في ميزان الأَعمال ، وإِنَّ كثيرًا من الذين رأوه في حياته ماتوا كفّارًا ، ومنهم بعض أَقربائه ، ثمَّ إِنَّ الرسول لا يتوصل لرؤيته في المنام بتلاوة قصائد الشعر ، وقد أَمرنا الله بالصلاة عليه لا بمدحه ولا بتلاوة الأَشعار بين يديه .

عن المقداد بن الأَسود قال : قال رسول الله ﷺ : « إِذا رأيتم المدّاحين فاحثوا في وجوههم التراب » رواه مسلم .

وقال الناشر أَيضًا : « وقد أَنشدها البوصيري بين يدي النّبيّ ﷺ في منامه » .

ما الدليل على صحّة هذا الكلام ؟ وهل ثبت أَنَّ النبيّ ﷺ يستقبل في قبره الشعراء ويستمع إِلى قصائد المديح ؟!

قال : « ثمَّ إِنَّ الرّسول أَكمل له شطر البيت بقوله عن نفسه : « وإِنّه خيرُ خلق الله كلهم » .

وواضح أَنَّ هذا افتراء على رسول الله ﷺ ، فإِنَّ الله تعالى يقول : ﴿ وما علَّمْناه الشعر وما ينبغي له ﴾ [يس : ٦٩] ؛ فلا هو بشاعر ولا بكاهن ، ولم يقل شعرًا في حياته قطّ ، فضلًا عن أَن يقوله بعد أَن انتقل إِلى جوار ربّه عزَّ وجلّ .

والآن ندخل إِلى أَبيات القصيدة :

إِنَّها تبدأ بالبيت المعروف :

أَمِنْ تَذَكُّرِ جيرانٍ بذي سَلَمٍ مَزَجْت دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلةٍ بِدَمِ

وهذا من أَعذب الشعر ومن أَكذبه أَيضًا ؛ لأَنَّه يزعم أَنَّ مجرّد تذّكره لهؤلاء الجيران جعل دموعه تنزل مختلطة بالدماء ، وليته فعل ذلك على المجازر الّتي حصلت في أَيامه من عدوان الكافرين على حرمات المسلمين ، أَو من المجاعة التي حصلت للنّاس في إِبّان حياته .

نماذج من الضلالات والشركيّات في قصيدة البردة :

قال الشاعر :

وكَيْفَ تدْعُو إِلى الدُّنيا ضَرُورةُ مَنْ لولاهُ لم تَخْرُج الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَونينِ والثقليـ ـنِ والفَريقينِ من عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

أَقول : ما هذا الكلام ، فهل الدنيا خلقت من أَجل النبيِّ ﷺ منذ أَنْ خلقهاالله وإِلى أَن تقومَ الساعة ؟!

فالدنيا خُلقت وخُلق الخلق فيها من أَجل عبادة الله وحده ؛ قال الله تعالى : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإِنسَ إِلّا ليعبدون ﴾ ، والنبيّ ﷺ هو أَحد عباد اللهِ المخلصين ، فلو سمع النبيُّ ﷺ هذا البيت من البوصيري لاستتابه ، فإِنْ تاب ، وإِلّا ضرب عنقه .

وقد وَرَدَ عنه ﷺ في أَقلِّ من هذا الغضبُ والإِنكارُ ، حيث تنتهك حرمة التوحيد والعقيدة :

كما في « المسند » وغيره في الرجل الذي قال له : ما شاء الله وشئت ، فقال له : « أَجعلتني لله ندًّا ؟ ما شاءَ الله وحده » .

وصحَّ عنه ﷺ في الرجل الذي سمعه يخطب ، فقال : ومَن يعصهما - أَي الله ورسوله - ؛ ، فقال له النبيُّ ﷺ : « بئس الخطيب أَنت » .

ولم يرض ﷺ في يومٍ من الأَيّام الشركَ به أَو بغيره مع الله تعالى ، فكيف لو سمع مثل هذا الكلام ؟!

وقوله : لا طِيبَ يَعْدِلُ ضمَّ أَعظُمَهُ طُوبَى لِمُنْتَشِقٍ مِنْهُ ومُلْتَثِمِ

أَقول : ما هذا الكلام ؟! فمتى كان تقبيلِ التراب واستنشاقه من القربات ؟! فهذا الفعل هو عملِ المشركين الذين يعظّمون الأَحجار والأَشجار ، ويعتقدون نفعها وضرّها ، وكيف وأَمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقول في الحجر الأَسود : « واللهِ إِنَّك حجر لا تضرُّ ولا تنفعُ ، ولولا أَنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك » ؟!

فعمر رضي الله عنه يقتدي برسول الله ﷺ في هذا الفعل ، ويعلم أَنَّ تقبيل الأَحجار والأَشجار والتراب هو من فعل المشركين ، الذين يعتقدون فيها نفعًا أو ضرًّا ، فهذا من البوصيري الغلوُّ المنهيُّ عنه ، فمتى كان حبّ رسول الله ﷺ بتقبيل التراب واستنشاقه ، فلو رأى رسول الله ﷺ من يفعل ذلك لاستتابه ؟!

قال البوصيري :

يا أَكرمَ الخَلْقِ ما لي من أَلُوذُ به وِاكَ عندَ حُلولِ الحَادِثِ العَمِمِ

أَقول : وأَين ربُّ العالمين ؟! ومتى كان النبيُّ ﷺ محلّ لياذة في غيابه ؟!

فلو قال البوصيري :

يا خالق الخلق ما لي من أَلوذ بِهِ سِواكَ عِنْده حُلُول الحادِثِ العَمِمِ

لكان مصيبًا ومحقًّا ، ولكن غلوّه أَوقعه في الشرك الصريح ، فإِذا لم يكن هذا شركًا ؛ فما في الدنيا شرك أَبدًا .

فهذا الكلام لا يجوز أَن يقال إِلّا في خالق الخلق ، أَمّا المخلوقون - وعلى رأسهم رسول الله ﷺ - فوصفهم بهذا الوصف شرك لا مِرية فيه .

قال البوصيري :

فإنَّ من جُودك الدُّنيا وضَرَّتَها .ومِنْ عُلومِك عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

أَقول : وماذا أبقى البوصيري لخالق الخلق إذا كانت الدنيا والآخرة من جود النبيِّ ﷺ ، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم ؟!

فالذين قتلهم الخليفة الرابع عليّ رضي الله عنه كما في « البخاري » على ما ادّعوه فيه لم يصل إلى هذا الذي ادّعاه البوصيري للنبيّ ﷺ !

فقاتل الله المؤولين والمعتذرين عن هؤلاء المشركين الذين نشروا الشرك في أُمّة محمد ﷺ منذ قرون باسم محبّة النبيِّ ﷺ ، وهي لعَمْر الله بعض له ، ونقض لدعوته من أَوّلها إلى آخرها .

وهكذا الأَمر في باقي الأبيات التي فيها من الشرك والغلو ما هو واضح لكلِّ ذي عقيدة سليمة .

وقصائد البوصيريّ وأَشباهه كلّها من هذا الوادي ، فقصيدة الهمزيّة المشهورة فيها من البلايا والعظائم ما تنبو عنه الأَسماع وتتقطّع له الأَكباد ، وقصائد الصوفيّة في جميع العصور معظمها من هذا الباب .

ومن هنا يعلم أَنَّ الصوفيّة كان لهم الحظّ الوافر في نشر الشرك في أُمّة محمد ﷺ علمًا وعملًا وإنشادًا وتأليفًا ، وما يزالون حتّى الآن يتغنّون بالشرك وينشرونه بكلِّ وسائلهم ، نرجو الله تعالى أَن يكفي المسلمين شرّهم .

واقرأ القصيدةبنفسك ، وتمعَّن بها ؛ تجد محالَّ الخطر والانحراف والغلو تختفي وراء كلِّ بيت وكلّ كلمة ، والكلام على أَخطاء البردة كلّها يستغرق صفحات كثيرة .

ومن جهة أُخرى ؛ فليعلم أَنَّ قضيّة السماع - للقصائد والإنشاد - عند الصوفيّة أَمر قديم ، وقد ذكره القشيري في « رسالته » ، وقد ردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيميّة ردًّا صحيحًا ، وسأَنقل في هنا بعض ردّ الشيخ على هذا الباطل على طريق

الاختصار ، ومن أَراد الاستيفاء ؛ رجع إِلى كتاب « الاستقامة » ؛ فإِنَّ فيه الرَّدّ الوافي على هذا السماع الباطل ، وفنّد فيه حجّة المخرفين وأَدلتهم المزعومة .

سئل شيخ الإِسلام تقي الدين أَبو العباس أَحمد بن تيميّة رضي الله عنه عن صفة سماع الصالحين : ما هو ؟ وهل سماع القصائد الملحنة بالآلات المطربه هو من القرب والطاعات أَم محرّم أَو مباح ؟ فأَجاب :

« الحمد للهِ ربِّ العالمين ، وأَشهد أَن لا إِله إِلّا الله وحده لا شريك له ، وأَشهد أَنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أَصلُ هذه المسألة أَنْ يفرّق بين السماع الذي ينتفع به في الدين وبين ما يرخّص فيه ، رَفْعًا للحرج ، وبين سماع المتقربين وسماع المُتَلَعِبينَ ، فأَمّا السماع الذي شرعه الله لعباده ، وكان سلف الأُمّة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاة نفوسهم ؛ فهو سماع آيات الله ، وهو سماع النبيين والمؤمنين أَهل العلم وأَهل المعرفة ؛ فإِنَّ الله تعالى ذكر من ذكره من الأَنبياء عليهم السلام في قوله :

﴿ أُولئكَ الذينَ أَنعمَ اللهُ عليهم من النَّبيّين من ذُريّة آدم وممّن حملنا مع نوح ومن ذُريّة إِبراهيم وإِسرائيل وممنْ هدينا واجتبينا إِذا تتلى عليهم آياتُ الرحمن خَرّوا سجدًّا وبكيًّا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنّما المؤمنون الذين إِذا ذُكر الله وجلت قلوبهم وإِذا تُلِيَتْ عليهم آياتِه زادتُهم إِيمانًا وعلى ربِّهم يتوكّلون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الذين أُوتوا العلمَ من قبلِه إِذا يُتْلى عليهم يَخرُّون للأَذقان سُجَّدًا يبكون ويزيدهم خُشوعًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وإِذا سمعوا ما أُنزل إِلى الرَّسول ترى أَعينهم تفيضُ من الدَّمع ممَّا عرفوا من الحقِّ ﴾ .

وبهذا السماع أَمر الله تعالى في قوله : ﴿ وإِذا قُرِئَ القُرآنُ فاستمعوا له وأَنصتوا

لعلّكم تُرحمون ﴾ .

وعلى أَهله أَثنى تعالى ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فبشِّر عباد الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبعونَ أَحسنَه ﴾ .

وقوله تعالى في الأُخرى : ﴿ أَفلا يتدبَّرون القُرآنَ أَم على قلوبٍ أَقفالُها ﴾ .

فالقول الذي أُمروا بتدبره هو الذي أُمرو بسماعه .

وقال تعالى : ﴿ كتابٌ أَنزلناهُ إِليك مُبارَكٌ ليدَّبّروا آياتِه ﴾ .

وكما أَثنى تعالى على هذا السماع ذمَّ تعالى المعرضين عن هذا السماع :

فقال تعالى : ﴿ وإِذا تُتلى عليه آياتُنا ولّى مُستكبرًا كأَنْ لم يسمعها كأَنَّ في أُذنيه وقرًا ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه لعلّكم تغلبونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإِذا قرأْتَ القرآنَ جعلْنا بينَك وبين الذينَ لا يؤمنونَ بالآخرة حجابًا مستورًا وجعلنا على قُلُوبهم أَكنّةً أَنْ يَفْقَهوه وفي آذانِهم وقْرًا ﴾ .

وهذا هو السماع الذي شرعه الله للمسلمين في صلواتهم وخطبهم ؛ كصلاة الفجر ، وصلاة العشاءين ، وفي غير ذلك .

وعلى هذا السماع كان أَصحاب رسول الله ﷺ يجتمعون ، وكانوا إِذا اجتمعوا أَمروا واحدًا منهم يقرأ ، والباقي يستمعون ، وكان عمر يقول لأَبي موسى : ذكّرنا ربّنا ، فيقرأ وهم يستمعون .

وهذا هو السماع الذي كان النبيُّ ﷺ يشهدُه مع أَصحابه ، ويستدعيه منهم ؛ كما في « الصحيحين » عن عبدالله بن مسعود : أَنَّ النبيَّ ﷺ قال له : « اِقرأْ عليَّ » ، قال : قلت : أَقرأُ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : « إِنّي أُحبُّ أَن أَسمعه من غيري » ، فقرأْتُ عليه سورة النساء ، حتّى وصلتُ إِلى هذه الآية : ﴿ فكيفَ إِذا جِئْنا

مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشهيدٍ وجئنا بكَ على هٰؤلاءِ شهيدًا ﴾ ، قال : « حسبُك » ، فإذا عيناه تَذْرِفان .

وهذا هو الدِّين كان النبيُّ يسمعه وأَصحابه .

كما قال تعالى : ﴿ لقد مَنَّ اللهُ على المؤمنين إِذ بعثَ فيهم رسولًا مِنْهُم يتْلوا عليهم آياتِه ويُزكّيهم ويُعلِّمُهم الكتابَ والحكمة ﴾ .

والحكمة هي السنّة .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّما أُمرْتُ أَنْ أَعبدَ ربَّ هذه البلدةِ الَّذي حرَّمها ولهُ كلُّ شيءٍ وأُمْرتُ أَنْ أَكونَ من المُسلمين وأَن أَتلوَ القرآنَ فمن اهتدى فإِنَّما يهتدي لنفسِه ومن ضلَّ فقُلْ إِنَّما أَنا من المُنْذِرين ﴾ .

وكذلك غيره من الرُّسل صلوات الله عليهم .

قال الله تعالى : ﴿ يا بني آدم إِمّا يأتينّكم رُسُلٌ مِنْكُم يقصُّون عليكم آياتي فمن اتّقى وأَصلحَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

وكذلك يُحتجُّ عليهم يوم القيامة :

كما قالَ تعالى : ﴿ يا معْشَرَ الجنِّ والإِنسِ أَلم يأْتِكم رُسُلٌ منكم يقصُّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاءَ يومِكم هذا قالوا شهدنا على أَنفسنا وغرّتْهُم الحياةُ الدنيا ﴾ الآية .

وقد أَخبر الله تعالى أَنَّ المعتصمَ بهذا السماع مهتد مفلح ، والمعرض ضالٌّ شقيٌّ :

قال الله تعالى : ﴿ فإِمّا يأتينّكم منِّي هُدًى فمن اتّبعَ هداي فلا يَضلُّ ولا يشقى ومن أَعرض عن ذكري فإِنَّ له معيشة ضنكًا ونحشره يومَ القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرّحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرينٌ ﴾ .

وذِكْرُ اللهِ يرادُ به تارة ذكر العبد ربَّه ، ويراد به الذِّكْر الذي أَنزله الله ؛ كما قال تعالى : ﴿ وهذا ذكْرٌ مباركٌ أَنزلناه ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ أَوَعجبْتُم أَنْ جاءَكم ذِكْرٌ من ربِّكم على رجلٍ منْكُم لينذِركُم ﴾ .

وقال : ﴿ يا أَيُّها الذين نُزِّل عليه الذِّكْرُ إِنَّكَ لمجْنون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدثٍ إِلّا استموه وهم يلعبون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وإِنَّه لذكرٌ لكَ ولقومِك ﴾ » .

وهذا السماع له آثار إِيمانيّة من المعارف القدسيّة والأَحوال الزكيّة ما يطولُ شرحُا ووصفُها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعرار الجلد ، وهذا مذكور في القرآن ، وهذه الصفات موجودة في الصحابة ، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة من الاضطراب والصراخ والإِغماء والموت في التابعين .

فهذا السماع هو أَصل الإِيمان ؛ فإِنَّ الله تعالى بعث محمدًا رسولًا إِلى الخلق أَجمعين ؛ ليبلغهم رسالات ربّهم ، فمن سمع ما بلّغه الرسول ، فآمن به ، واتبعه ؛ اهتدى وأَفلح ، ومن أَعرض عن ذلك ؛ ضلَّ وشقي .

وأَمّا سماع المُكار والتصدية ؛ فالتصْدية هي التصفيق بالأيدي ، والمكاء مثل الصفير ونحوه ؛ فهذا سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى في قوله : ﴿ وما كانَ صلاتهم عند البيتِ إِلّا مُكاء وتصْدية ﴾ .

فأَخبر الله تعالى على المشركين أَنّهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت باليد قربة ودينًا ، ولم يكن النبيّ ﷺ وأَصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ، ولا حضروه قط ، ومن قال : إِنَّ النبيّ ﷺ حضر ذلك ؛ فقد كذب على باتفاق أَهل المعرفة بحديثه وسنّته .

وبالجملة ؛ قد علم بالاضطرار من دين الإِسلام أَنَّ النبيّ ﷺ لم يشرّع لصالحي

أُمته وعبادتهم وزهادهم أَن يجتموا على استماع الأَبيات الملحنة مع ضرب بالأَكفّ أَو ضرب بالقضيب أَو الدفّ ، كما لم يبح لأَحد أَن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والسنّة والحكمة ، لا في باطن الأَمر ولا في ظاهره ، لا لعامي ولا لخاص » .

أَقول : هذا هو القولُ الحقُّ في هذه المسألة ، وماذا بعد الحقِّ إِلّا الضلال ، واللهُ الهادي إِلى سواء السَّبيل . الاختلاف و الائتلاف .

بين عالم وحاكم

عمر بن أحمد الأحمد

إِنَّ نظرة سريعة على تاريخ الدولة العباسية السياسي والعلمي - وبخاصة عصر المأمون فما بعده - ليعطينا الصورة الحقيقية لذلك العصر ، وكيف أثّر رجل عرف بالعلم ففرّق الأمة بعد أَن كانت مجتمعة على أمر جامع ... ثم وبعد سنين مديدة يأتي الخليفة المتوكّل ليجمع شمل الأمة ، ويسد ما انثلم وتصدَّع في جدرانها إلى آخر ما سيأتي معنا ، وفي هذا بيان واضح من خلال الاستقراء التاريخي أن زمام أمور الأمة هي بيد الحاكم وبيد الأَئمة ، فهاتان هما المرجع إليهما بعد الله .

فالحكّامُ والعلماء أُولو الأَمر ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. ﴾ واختلفت أقوال المفسرين في أولي الأمر على أَقوالٍ أَظهرها أَنّهم العُلماء والحُكّام .

العصر العباسي السياسي والعلمي :

قامت الدولة العباسية سنة (١٣٢ هـ) ، وكانت في ظاهر الدعوة علوية هاشميّة ثم تغيَّرت فأَصبحت تكيد للعلويين ، وهذه الفئة - أي : العلوية - هي من أَبناء زين العابدين منهم : زيد صاحب المذهب « الزيدي » ، وجعفر الباقر وغيرهما ، وقد كان لزيد هذا التقاء مع رئيس الاعتزال واصل بن عطاء يناقشه ويناظره ، يقول محمد أبو زهرة في كتابه « الإمام زيد » (ص ٣٩ فقرة ٣٠) : « ولكن أيصحُّ أَنَّ زيدًا تتلمذ على واصل في هذه المرحلة ؟! إِن الرَّجُلَين كانا في سنٍّ واحدة ، فقد ولد كلاهما سنة (٨٠ هـ) أو قريبًا من ذلك ، ويظهر أنهما عندما التقيا كان زيد في سن

قد نضجت ، لأَنَّ واصلًا لا يمكن أنْ يكون في مقام من يدرس مستقِلًّا إلّا إذا كان في سنّ ناضجة ، ولهذا نرى أن التقاء زيد رضي الله عنه بواصل بن عطاء كان التقاء مذاكرة علمية ، وليس التقاء تلميذ ... ، فنرى أن مذهب الاعتزال – بغضّ النظر عن أَقسامه – قد بدأ بالولادة والتزامن مع ولادة الدعوة إلى العصر العباسي أو قبله .

وفي سنة (١٣٢ هـ) قامت الدولة العباسية التي كان من أَبرز شعاراتها إيصال الحكم إلى آل البيت ، ولكن استطاع العباسيون الاستئثار بالحكم مما أثار حفيظة المحبين للدولة العباسية في بداية الأمر ولاستنكافِهم عنهم ، ومن المعلوم أن اعتماد هذه الدولة على العنصر الفارسي ثم العنصر التركي كان له أَسوأُ الأثر على الدولة ، ومن ثم تكون فريسة سهلة بيد أَعدائها ، بل إنّ الأمر أصبح مضحكًا ! فبعد قتل المتوكل تجرّأ الأَتراك على الخلفاء فأصبحوا يعزلون ويولّون ويقتلون .. قال الشاعر :

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له كما تقول الببغا[1]

تعاقب الخلفاء العباسيون على كرسي الخلافة إلى أن جاء المأمون سنة (١٩٨ هـ) فشايعَ (المعتزلة) وقرّبهم ورأى ما بينهم وبين الفقهاء من خلاف ، فكان يعقد المناظرات بين الفريقين ، لينتهوا لرأي واحد ، ولكنه سقط سقطة ما كان لمثله أن يقع فيها ؛ وهي أنه أَراد – أو من حوله – أن يحمل الفقهاء والمحدثين على رأي المعتزلة بالقرآن بقوة السلطان ، وما كانت قوة الحكم لنصرة الآراء وحمل الناس على غير ما يعتقدون ، وإذا كان من المُحرَّم الإكراه في الدين ، فكيف يحل حمل الناس علىعقيدة ليس في مخالفتها كفر ؛ فقد حاول أن يحمل الفقهاء على القول بخلق القرآن ، فأجابه بعضهم إلى رغبته تقيّة ورَهبًا ، لا إيمانًا واعتقادًا ، وتحمَّل آخرون العنت

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (٣٢٠) ، وانظر « الرحلة المتوكلية إلى دمشق » د. صادق جودة .

والإرهاق والسجن الطويل ، ولم يقولوا غير ما يعتقدون ، واستمرّت تلك الفتنة طول خلافة المعتصم والواثق لوصية المأمون بذلك ... ولما جاء المتوكل رفع هذه المحنه .. وترك الأمور تأخذ سيرها ، والآراء تجري في مجاريها وللناس فيها ما يختارون »[١].

وقبل مجيء المأمون كانت المعتزلة لم تجد من يعارضها من الخلفاء ، لأنها لم تأبه للسياسة وأهلها ، فقد كان جل همهم هو إعمال الفكر وقرع الحجّة بالحُجّة ، حتى قرّبهم المأمون ، وجعل مذهب الاعتزال هو المذهب الرسمي - كما تقدَّم - ثم جاء بالفتنة وأَقعدها بين المسلمين أحمد بن أبي دُؤاد ، وتصدَّى لها إمام أهل السنة والجماعة وتلميذه محمد بن نوح [٢] ، ولكنَّ الأخير مات وصلى عليه الإمام أحمد .

قال أَحدُ أئمة الزيدية رحمه الله : « لا رحم الله ابن أبي دُؤاد ، رأى كلمة المسلمين مجتمعة حتى جاء وفرقها [٣] » .

قال الذهبي رحمه الله في « السِّيَر » (١١ / ٢٣) :

وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ، ثم ظهرت المعتزلة في البصرة ، والجهميّة والمجسِّمة بِخُراسانَ في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها إلى بعد المئتين ، فظهر المأمون الخليفة - وكان ذكيًّا متكلمًا ، له نظر في المعقول - فاستجلب كتب الأوائل ، وعَرَّب حكمة اليونان ، وقام في ذلك وقعد ، وخبّ ووضع ، ورفعت الجهمية والمعتزلة رؤوسها ، بل والشيعة فإنه كان كذلك ، وآل به الحال إلى أن حمل الأُمّة على القول بخلق القرآن ، وامتحن العلماء ، فلم يمهَل ، وهلك لعامهِ وخلى بعده شرًّا وبلاءً في الدين ، فإن الأُمة مازالت على أن القرآن العظيم كلام الله تعالى ووحيه وتنزيله ، لا يعرفون غير ذلك ، حتى نبغ لهم القول بأنه كلام الله مخلوق مجعول ،

(١٠) « أبو حنيفة ، فقهه - عصره - آراؤه » محمد أبو زهرة .

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١ / ٢٣٨) .

(٣) « العواصم والقواصم » لابن الوزير .

وإنه إنما يضاف إلى الله تعالى إضافة تشريف ، كبيت الله ، وناقة الله ؛ فأنكر ذلك العلماء ، ولم تكن الجهمية يظهرون في دولة المهدي والرشيد والأمين فلمّا ولي المأمون ، كان منهم ، وأظهر المقالة » .

عصر الخليفة المتوكل السياسي والثقافي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)[١] :

برز دور الأَتراك في هذا العهد حتى خشيَ منهم الخليفة المتوكل مما اضطره الأمر إلى إبعادهم ، ولعل من أبرز الأسباب التي جعلت المتوكل يعزم على الاستقرار في دمشق وتقريب علماء السنة والخوف من هذا العنصر الذي بدأ يشكل جرثومة مهلكة في جسم الدولة في هذا الحين حِرْصَهُ أن تكون الأمة مجتمعة في عقيدتها ، وقد لجأ المتوكل رحمه الله في سبيل تحقيق ذلك إلى إبطال جميع الأفكار التي سادت المجتمع العباسي قبله فحلَّ المشكلة - مشكلة القول بخلق القرآن - منذ أيام المأمون التي أوجدت شرخًا في جسم المجتمع الإسلامي ، وباعدت بين فئاته المختلفة ، وذلك بأن أَصدر المراسم الخليفية تنهى الناس في الأعصار والأمصار الأخرى عن الخوض في مثل هذه الأمور ... »[٢] ، بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحدِّ فكانت المراسم تقضي بمضايقة أهل الذمة وأمر بأن يتميزوا بلباسهم وعمائمهم ومساكنهم وأَعيادهم[٣].

من هذا الموقف السياسي وخاصة من قِبَلِ الأتراك نرى أن المتوكل أَراد أن يُحيطَ نفسه بأكبر قوة ضاربة ضد الأتراك ، العنصر الذي صار يشكل عبئًا ثقيلًا على الخلافة ، ولا يوجد طريق يمكن أن يجتمع المسلمون عليه **إلا طريقٌ واحدٌ هو طريق أَهل السنّة والجماعة ، طريقة السلف الصالح ، فوقف أمام القدرية والمعتزلة** وتصدى لبعض الحركاتِ الهدامة التي ظهرت في المجتمع الإسلامي كحركة محمود

---

(١) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٢٤) .

(٢) « الرحلة المتوكلية إلى دمشق » بتصرف يسير .

(٣) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٢٧) .

ابن الفرج النيسابوري، الذي ادعى النبوة ، وتخلص منه ومن أَتباعه ، ولقد شبه بعض المؤرخين عصر المتوكل بعصر الصديق لقتله أَهل الردّة لأَنه نصر الحقَّ وردَّه عليهم حتى رجعوا إلى الدين ، وبعصر عمر بن عبدالعزيز حين رد مظالم بني أمية ، وقد أظهر السُّنَّة بعد البدعة ، وأَخمد أهل البدعة وبدعهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله [١] .

الخاتمة :

رحم الله الخليفة المتوكل رحمة واسعة الذي قتل سنة (٢٤٧ هـ) ؛ فلقد حرص على توحيد كلمة المسلمين ، لأنهم يدٌ واحدةٌ على من ناوَأَهم وعاداهم وعادى طريقة السَّلف طريقة أبي بكر وعمر وهي الطريق الحق ، فعليك بها وإِيّاك وبنيَّات الطريق .

فهاتان صورتان واضحتان من صور التاريخ الإسلامي المشرق ، صورة فرقت المسلمين متّسمة بالعلم رغم وجود السلطان ، وصورة وحّدت المسلمين متّسمةً بالسلطة رغم وجود العلماء .

وطريق التوحيد لم يكن على طريقة أهل الاعتزال أو القائلين بالقدر ، بل على طريقة أهل السنة والجماعة ، فهي هداية إلى الطريق وهداية في الطريق .

وهذا يُظْهِرُ أهمية دور العلماء وأنهم لهم الدور البارز في نصرة هذا الدين أو خذلانه ، وما الخلفاء إلا أداة تتحرك بيد العلماء وأَمْرِهم شعروا أو لم يشعروا ، فالله الله بالالتفاف حول علماء أهل السنة وعدم قذعهم أَو الاستهانة بهم ، لأنهم هم الناصحون لهذه الأمة.. الآخذين بيدها إلى شاطىء الأمان وواحة الإيمان .

---

(١) « البداية والنهاية » (٥ / ٣٦٤) .

المؤتمر السنوي الثامن لجمعية القرآن والسنّة في أَمريكا الشماليّة.

د . محمد الجبالي

أَقامت جمعيةُ القرآن والسنّة في أَمريكا الشماليّة مؤتمرَها السنويّ الثامن في مدينةِ توليدو في ولايةِ أَهايو ، تحت عنوان « منهج التربية الربانيّة » وذلك في الأُسبوع الأَخير من شهر رجب الفرد ١٤١٥ هـ .

وقد دعتْ الجمعيّةُ عدداً من أَهلِ العلمِ وطلابِه المعروفين في عدّةِ بلادٍ إِسلاميّةٍ ، كان منهم : الشيخ محمد صفوت نور الدين ، والشيخ محمد موسى نصر ، والشيخ جعفر الشيخ إِدريس ، والشيخ عقيل القطري ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ سليم الهلاليّ ، والشيخ رشدي أَدهم إِمام مفتي مسلمي اليونان وغيرهم .

وقد قامَ هؤلاءِ المشايخُ - جزاهم اللهُ خيراً - بإِلقاءِ عددٍ من المُحاضراتِ المنهجيّةِ ، وأَقاموا الندواتِ العلميّةِ ، وشاركوا في اللقاءاتِ التربويّةِ النافعةِ ، ممّا كانَ له كبير الأَثرِ وعظيمُ الفائدةِ في نفوسِ الحاضرين .

وقد أَعدَّ الأَخُ أَبو عبدالرحمٰن محمد معتزّ الحلّاق كلمةً حولَ شعارِ المؤتمر نوردُها بتمامها لفائدتها وأَهميتها :

﴿ ولكن كونوا ربّانيين بما كنتُم تعلّمون الكتابَ وبما كنتم تدرسون ﴾ .

العالم الربّانيّ : قال الإِمام ابن القيّم رحمه الله : « معنى الربّانيّ في اللغةِ : الرفيعُ الدرجة في العلم ، العالي المنزلة فيه ، وعلى ذلك حملوا قولَه تعالى : ﴿ لولا ينهاهم الربّانيّون ﴾ ، وقالَ ابن عباس : « حكماء فقهاء » ، وقال أَبو رزين : « فقهاء وعلماء » ، وقال أَبو عمر الزاهد : سألتُ ثعلباً عن هذا الحرف - وهو الربانيّ - فقال :

سألتُ ابنَ الأَعرابيّ فقال : « إِذا كانَ الرَّجلُ عالماً عاملاً معلماً قيل له : هذا ربّانيّ ، فإِن خرج عن خصلة منها لم نقل له : ربّانيّ » .

فالربّانيّ – إِذن – **هو الَّذي يربّى الناسَ بمنهج اللهِ ، ويتدرّج بهم حتّى يصل بهم إِلى المستوى الرَّفيعِ الَّذي يريدُه الله .**

وقالَ الواحديُّ : « فالرّبانيُّ منسوبٌ إِلى الربِّ على معنى التخصيصِ بعلم الربِّ ، أَي : يعلمُ الشريعة وصفاتِ الربِّ » .

وقالَ المبرّد : « الرَّبانيُّ الَّذي يَرُبُّ العلمَ ويَرُبُّ الناسَ به ؛ أَي : يعلمُهم ويصلحُهم » .

وعلى قولِه ؛ فالربّانيُّ مِن رَبَّ يَرُبُّ ربّاً ؛ أَي : يربيه ، فهو منسوبٌ إِلى التربيةِ ، يُربّي علمه ليكملَ ويتمَّ بقيامِه عليه وتعاهده إِيّاه كما يربي صاحبُ المالِ مالَه ، ويربّي الناس به كما يُربي الأَطفالَ أَولياؤهم .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « العالمُ الربّانيّ هو المُعَلِّم » ، أَخذه من التربيةِ ؛ أَي : يُربّي الناسَ بالعلمِ ويُربّيهم به كما يُربّي الطفلَ أَبوه .

وقال سعيدُ بن جبير : « هو الفقيه العليم الحكيم » .

وقال سيبويه : زادوا أَلفاً ونوناً في الربانيّ إِذا أَرادوا تخصيصاً بعلمِ الرَّبِّ تباركَ وتعالى » .

ومعنى قولِ سيبويهِ رحمه الله : أَنَّ هذا العلمَ لمّا نسبَ إِلى علم الرَّبِّ تعالى الَّذي بعثَ به رسولَه وتخصّصَ به ، نُسِبَ إِليه دون سائرِ من علَّمَ علماً .

فالعالمُ الربّانيُّ هو الَّذي لا زيادةَ على فضلِه لفاضلٍ ، ولا منزلةَ فوقَ منزلتِه لمجتهد .

وقد دخلَ في الوصفِ له بأَنّه ربّانيّ وصفُه بالصفاتِ الّتي يقتضيها العلمُ لأَهلِهِ ، ويمنعُ وصفه بما خالفها .

ولقد فسَّر بعضُ أَهلِ العلمِ هذه الآيةَ الكريمةَ بقولِهم : هم الَّذين يربّونَ الناسَ بصغارِ العلمِ قبل كبارِه ، أَي : تربية الناسِ على المنهجِ الصحيح المصفّى ، ا لَّذي ليس فيه غَبَشٌ أَو دَخَنٌ ، بدقيقِ المسائلِ قبل جليلها .

هكذا كانَ منهاجُ رسولِ اللهِ ﷺ مع صحابتِه عند فجرِ الدعوةِ ، إِذ جاءهم في بيئة كثرت فيها المفاسدُ والفتنُ والشوائبُ ، فبوحي الله له بدأَ بتصفيتها وتنقيتِها حتّى غدت كما قالَ ﷺ : « قد تركتُكم على البيضاءِ ، ليلها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إِلّا هالك » .

ولقد فهم الإِمامُ ابنُ القيّم رحمه الله في كتابِه « مفتاح السعادة » معنى الربانيّة من قولِه ﷺ : « العلماءُ ورثةُ الأَنبياءِ » ، فقال : « فيه تنبيهٌ لأَهلِ العلمِ على تربيةِ الأُمّةِ كما يربّي الوالدُ ولدَه ، فيربّونهم بالتدريج والترقي من صغارِ العلمِ إِلى كبارِه وتحميلهم منه ما يطيقونَ ، كما يفعلُ الأَبُ بولدِه الطفلِ في إِيصالِه الغذاء إِليه ، فإِنَّ أَرواح البشر بالنسبة إِلى الأَنبياءِ والرُّسل كالأَطفال بالنسبةِ إِلى آبائِهم ، بل دون هذه النسبةِ بكثيرٍ ، ولهذا كلُّ روح لم يربّيها الرُّسل لم تُفلحْ ولم تصلح لصالحة ، كما قيل :

ومن لا يُرَبِّيهِ الرَّسولُ ويسقِهِ لُبانًا له قد درَّ من ثَدي قُدسِهِ

فذاك لقيط ما لَهُ نِسْبَةُ الوَلا ولا يتَعدَّى طورَ أَبناءِ جنسِهِ

التربية : وتطلقُ كلمةُ التربية في اللغةِ على النَّماءِ والزيادةِ والرفعةِ ، وتطلقُ أَيضاً على التنشئةِ والتغذيةِ ، والتغذيةُ أَعمُّ من أَن يكونَ الغذاءُ ماديّاً أَو معنويّاً ، فالمرادُ بالتغذيةِ - من معاني التربيةِ - توفيرُ حاجاتِ الإِنسانِ من الطعامِ والشرابِ حتَّى يكتملَ جسمه ، ويتمتع بالصحة والعافية ، ويتمكنُ من السعي في الأَرضِ ينبشها ويستدرّ خيراتها ، ويكتشفُ مجاهلها ، فيستخرج كنوزها الَّتي لا تحصي عدًّا .

.فالمعنى الاصطلاحيّ للتربيةِ هو : العملُ بمختلفِ الأَساليبِ والوسائلِ الَّتي لا

تتعارضُ مع شرعيّةِ الإسلامِ على رعايةِ الإنسانِ وتعهده حتّى يَصيرَ سيداً في هذه الأَرضِ ، سيادة محكومة بالعبوديّةِ التامّةِ للهِ ربِّ العالمين .

التربية النبويّة الربانيّة : وعليه ؛ فإننا لا يمكنُ أَن نمكّنَ لمنهجِ اللهِ في الأَرضِ من جديدٍ إلّا بالدعوةِ والتربيةِ ، إذ هما يساعدانِ على إيجادِ من يأتي بالنصرِ ، بل من يحرسُ ويحافظُ على هذا النصر .

والإتيانُ بالنصرِ شاقٌّ ، وحمايةُ وحراسةُ النصرِ أَشقُّ ، على أَنَّ لنا في منهجِ رسول اللهِ ﷺ حين مكّن لدينِ اللهِ في الأَرضِ أَوَّلَ مرّةٍ الأُسوةَ والقدوةَ : ﴿ لقد كانَ لكم في رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذكرَ اللهَ كثيراً ﴾ .

حيثُ بدأَ ﷺ يجاهدُ بالدعوةِ والتربيةِ ، وأَطالَ النفسَ في ذلك حتّى إذا استقامت النفوسُ ، وطهرت القلوبُ لم يحتج إلى أَيِّ لونٍ آخرَ من المجاهدة .

وهذا في الحقيقةِ هو المنهاجُ النبويُّ في سيرِ الدعوةِ وانتظارِ ثمرتِها :

إذ قد مَكَثَ رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ عشرةَ سنةً يدعو إلى اللهِ وحدَه ، والإيمانِ برسالتِه واليومِ الآخرِ ، في كلِّ صراحةٍ ووضوحٍ ، لا يُكني ، ولا يلوِّح ، ولا يلين ، ولا يستكينُ ، ولا يداهنُ ، ويرى في ذلكَ دواءً لكلِّ داءٍ .

وقامت عليه قريش ، وصاحوا به من كلِّ جانبٍ ، ورموه عن قوسٍ واحدةٍ ، وأَضرموا البلادَ عليه نارًا ليحولوا بينَه وبين أَبنائِهم وإخوانِهم ، فتقدّم معه ﷺ فتية من قريش لا يستخفهم طيشُ الشبابِ ، ولا يستهويهم مطمعٌ من مطامعِ الدنيا ، إنّما همّتُهم الآخرة ، وبغيتُهم الجنّة .

فما كانَ من قريش إلّا ما توقعوه فقد نشرت كنانتها ، وأَطلقت عليهم كلَّ سهم من سهامها ، فما زادهم كلُّ ذلك إلّا ثقةً وتجلُّداً وقالوا : ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلّا إيماناً وتسليماً ﴾ .

فلم يزدهم هذا البلاءُ والاضطهادُ إلّا متانةً في عقيدتِهم ، وحمية لدينهم ، ومقتاً

للكفرِ وأَهلِه ، وإشعالاً لعاطفتِهم ، وتمحيصاً لنفوسِهم ، فأَصبحوا كالتِّبرِ المسبوك واللُّجَين الصافي ، وخرجوا من كلِّ محنة خروج السيف بعد الجلاءِ .

هذا والرسولُ ﷺ يغذي أَرواحَهم بالقرآنِ ، ويربّي نفوسهم بالإِيمان ، ويُخضعُهم أَمام ربّ العالمين خمس مرّات في اليوم عن طهارة بدن ، وخشوع قلب ، وخضوع جسم ، وحضور عقل ، فيزدادون في كلِّ يوم سمو روح ، ونقاء قلب ، ونظافة خلق ، وتحرراً من سلطان الماديّات ، ومقاومة الشهوات ، ونزوعاً إِلى ربِّ الأَرض والسموات .

ولم يزل رسول الله ﷺ يربيهم تربيةً دقيقةً عميقةً ، ولم يزل القرآن يسمو بنفوسِهم ، ويزكّي جمرة قلوبِهم ، ولم تزل مجالس الرَّسول ﷺ تزيدُهم رسوخاً في الدينِ ، وعزوفاً عن الشهواتِ ، وتفانياً في سبيلِ المرضاة ، وحنيناً إِلى الجنّة ، وحرصاً على العلمِ ، وفقهاً في الدين ، ومحاسبة للنفس .

وانحلت العقدة الكبرى – عقدة الشرك والكفر – فانحلّت بعدَها العُقَد كلّها وجاهدهم الرَّسولُ ﷺ جهادَه الأَوّل ، فلم يحتج إِلى جهاد مستأنف لكلِّ أَمر ونهي .

وانتصر الإِسلام على الجاهليّةِ في المعركةِ الأُولى ، فكانَ النصرُ حليفه في كلِّ معركة ، حتّى خَرَجَ حظُّ الشيطان من نفوسِهم ، بل حظّ نفوسهم من نفوسِهم ، وأَنصفوا من أَنفسِهم إِنصافَهم من غيرِهم ، وأَصبحوا في الدنيا رجالَ الآخرة ، وفي اليومِ رجال الغد ، لا تجزعهم مصيبةٌ ، ولا تبطرهم نعمةُ اللهِ ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطغيهم غنى ، ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفّهم قوة ، ولا يريدون عُلُوّاً في الأَرضِ ولا فساداً ، وأَصبحوا للناسِ القسطاط المستقيم : ﴿ قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أَنفسِكم أَو الوالدين والأَقربين ﴾ .

وطّئت لهم أَكناف الأَرض ، وأَصبحوا عصمةً للبشرية ، ووقاية للعالم ، ودعاة

إِلى دين الله ، واستخلفهم رسول الله ﷺ في عملِه ، ولحق بالرفيقِ الأَعلى قريرَ العين من أُمته ورسالتِه .

أَمضى رسولُ اللهِ ﷺ سنواتٍ في مكّة ، جاهداً في غرسِ العقيدةِ الإِسلاميّة أَو بعثها وتربيتها في نفوس الصحابةِ الأَوائل ، لتكونَ أَساساً متيناً لتربيةٍ ربّانيّةٍ ، عميقةِ الأَثر ، بعيدة المرمى ، واسعة الشمول ، ومنبعاً ثرياً للبطولاتِ والعبقريّات الّتي كانت فيما بعد نتائج عفويّة لهذه التربية العظيمة .

بين الماديّة والربانيّة : ولئن كانت التربية الغربية المعاصرة هي تحقيق النمو والحياة ، ونقل الحضارة والثقافة من جيل إِلى جيل ، رغبة في المزيد من رفاهيّةِ الحياةِ ، واستمتاعاً بها ، وتعلّقاً بلذاتِها ، وإِشباعها لغرائزِ الإِنسان من غير توجيه إِلى هدف أَسمى ، كما وصلت إِلى أَكثر مدارسنا ، وطبّقت في معظم مناهجنا ، بشكلها العلمانيّ .

ولئن كان ذلك قد دعا فلاسفة التربية الغربيّة إِلى بنائِها على أَساس نفسي ، يقوم على دراسة النفس كما هي ، بغرائزِها وتفكيرها ووظائفها وسلوكها وعلى أَساس اجتماعيّ ، يدرس واقع المجتمع البشري ومتطلباته من وجهة نظرِهم الحاديّة ، على أَساس عقليّ فلسفيّ ، يعلل الكون والحياة تعليلاً ماديّاً ، مبنيّاً على جمود العقل ، والوقوف عند معطيّات الحواس ، وإِنكار كلّ ما وراء هذه الحياة من أَسبابٍ أَو غايات ربّانيّة أَو دينيّة .

لئن كان كلّ ذلك فإِنَّ التربية الربّانيّة قد قامت على تزكيّة النفس الإِنسانيّة ، عن طريق توجيه العقل ومشاعره ، ليستدلَّ بتأمُّل هذا الكون ، وتأمّل نفسه ، على وجود الخالق وحكمته وعنايته وعظمته وتدبيره وقدرته ، ورحمته بالإِنسان ، ثمَّ ليمارس حياته على أَساس محبّة الخالق والخضوع له ؛ فيجدد نفسه وطاقاته بمناجاة ربّه وطاعته ، وباستخدام ما سخر اللهُ له في هذا الكون من قوى وكائنات ، وهو يستهدف في ذلك كلّه تحقيق مرضاة الله ، وتحمّل الأَمانة الّتي حمَّله إِيّاها من تحقيق

الخلافة على الأَرض والسيادة على ما سخّر الله له ، يقصد شكر الله ، وتحقيق شريعتِه وعبادته ، والدعوة إِلى تحقيق هذه المعاني في سائر المجتمعات البشريّة .

وعلى هذا فليس من المعقول أَن تكونَ أُسس التربية الإِسلاميّة القائمة على تزكية النفس والسمو بها إِلى خالقِها مثل أُسس التربية الغربيّة المعاصرة القائمة على الانحدار بالنفسِ إِلى غريزتِها وماديّتها ، ولا شبيهة بها ، ولا مشتركة معها في العناوين اشتراكاً كليّاً : ﴿ وما يستوي الأَعمى والبصير ولا الظلماتُ ولا النُّور ولا الظلّ ولا الحرور وما يستوي الأَحياءُ ولا الأَمواتُ إِنَّ اللهَ يسمعُ من يشاءُ وما أَنت بمسمع من في القبور ﴾ .

وقد أَنطقَ اللهُ بعضَ مفكري الغرب ، فاعترفَ بهذا الطهر والرقيّ عند المسلمين ، بعدما أَذهلته هذه الظاهرة الّتي لم يعرف التاريخُ لها مثيلاً !

تقول الدكتورة فاليري الإِيطاليّة : « ليت شعري كيف تسنّى لهؤلاءِ المجاهدين غير المدرّبين أَن ينتصروا على شعوب تفوقهم مدنية وثروة ، وتزيد عليهم ذرية ومراساً للحروب ؟ وكيف استطاعوا أَن يبسطوا سلطانهم على بلاد متسعة الأَرجاء ؟ وأَن يحتفظوا بفتوحاتِهم هذه ، يوطّدوا هذا الصرح العظيم الّذي ثبتَ أَمامَ حروبٍ شديدة ، استمرت قروناً عديدة ، فلم تَقْوَ على هدمِه ونقضِ بنيانه الشامخ المتين ؟ » .

ثمَّ تجيبُ عن تساؤلاتِها فتقولُ : « أَخَذَ الناسُ الّذين دهشوا لهذا الانقلابِ الاجتماعيِّ الدينيِّ السياسيِّ يتساءلونَ عن سببِهِ الأَوّل : ولكنَّ الكثيرين منهم كانوا لا يبصرونَ أَو تعمّدوا إِغماضَ عيونِهم ، فظلّوا يتخبّطونَ طويلاً في مجاهلِ الغلطِ والشططِ ، ولم يدركوا أَنَّ القوّةَ الإِلهيّة هي التي أَعطت الإِشارةَ الأُولى لهذه الحركة المباركة الواسعة النطاق » .

فلا بدَّ لنا إِذن من تعلُّم المنهجِ الّذي رُبّي عليه المسلمون الأَوائل ، الّذين فتحوا المعمورةَ في زمانِهم ، وبلغوا رسالة ربِّهم ، وكانوا رحمة للعالمين ، لا بدَّ من تعلُّمِه ووضعِه موضعَ التطبيقِ إِن أَردنا الفلاحَ والرُّشد .

وقد أُلقيت في المؤتمرِ المحاضرات الآتية :

١ - منهج التربية الربانيّة ؛ أُسس وضوابط / الشيخ سليم الهلالي .

٢ - نماذج قرآنيّة في التربية الربانيّة / الشيخ عقيل المقطري .

٣ - معالم التربية النبويّة / الشيخ محمد صفوت نور الدين .

٤ - أَثر الجهاد في تربية الأُمّة / الشيخ أَبو عبدالعزيز .

٥ - القدوة الحسنة وأَثرها في التربية / الشيخ محمد موسى نصر .

٦ - الطفولة والتربية النبويّة / الشيخ محمد المهدي .

٧ - التربية الربانيّة وقصور المناهج الغربيّة / الشيخ جعفر الشيخ إِدريس .

وشاركَ الشيوخُ في لقاء أَدبيّ ، حيث طرقت قضايا أَدبيّة هادفة من الشعر والحكمة والقول الرفيع والنكت العلميّة في مختلف العلوم في التفسير والحديث واللغةِ ، وقد تفاعلَ الحضور للدلالة على انتفاعهم بما سمعوا .

وفي اليوم الأَخير شاركَ الشيوخ في لقاء مفتوح مع الحضور ، تجاذبوا فيه أَطراف الحديث ، وتبادلوا النصح لتخطي العثرات في اللقاءات القادمة بإِذن الله .

ورافقَ هذا البرنامج برنامجان موازيان أَحدهما للمسلمين الناطقين بغير العربيّة ، حيث كانت الترجمة الفوريّة يقوم بها عدد من طلاب العلم المتمرسين ، وآخر للنساء ، وكانت هناك عناية بالأَطفال تتلائم مع قدراتهم الجسميّة والعقليّة والنفسيّة ، قام بها أَهل الاختصاص في مسألة الطفولة .

وقد انتهى المؤتمر على خير وبركة ، وقد افترقت الأَجساد وبقيت الأَرواح متآلفة على حبِّ الله ورسوله وولاء للمؤمنين ، آملين أَن يتجددَ اللقاءُ ، وأَن يسددَ الله الخطواتِ على منهج سلف هذه الأُمّة المرحومة .

الكوثري والكوثريّة

الشمس السلفي الأفغاني

الكوثريّة تعرفُ بعرض عقيدة إمامها الكوثري (١٣٧١هـ) وذِكر نماذج من خرافاته وشركياته، وبذلك يعرف مناقضته لأُوصول التوحيد عامّة و«توحيد الألوهيّة».

فأَقول وباللهِ أَصول وأَجول :

إِنَّ للكوثريّ مقالتين شنيعتين مسمومتين فتّاكتين لإِثبات خرافاته وشركياته :

المقالة الأُولى : بعنوان : « بناء المساجد على القبور ، والصلاة إِليها » [١] .

والمقالة الثانية بعنوان : « محق التّقول في مسألة التوسل » [٢].

كما أَنَّ له تعليقاتٍ على « السيف الصقيل » المنسوب إِلى التقي السبكي (٧٥٦ هـ) ، وله تعليقات أُخرى ومقدمات لعديد من الكتب يبثّ في غضونهاسمومًا فتّاكة ضدّ « توحيد الأُلوهيّة » لدعم مزاعمه الشركيّة [٣] .

ومن هنا نعرف أَنَّ هذا الكوثري والكوثريّة ومن سايره من بعض الديوبنديّة كالينّوري (١٣٩٧هـ)[٤] حاولا جهارًا رفع أَلوية الجهميّة وأَلوية القبوريّة في آن واحد،

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٩) .

(٢) « مقالاته » (٣٧٨ - ٣٩٧) .

(٣) مقدمة الكوثري لكتاب « البراهين الساطعة » لسلامة القضاعي الصوفي الهندي (٧ - ٨) .

(٤)

ولا يزالون يحاولون ذلك إلى يومنا هذا .

وينحل ما في هاتين المقالتين وغيرهما من تعليقات من الخرافات الشركيّة إلى ما يلي من الفقرات :

١ - جواز بناء القبب والمساجد على القبور وأنّه أمر متوارث [١].

٢ - عدم جواز هدم القباب والمساجد المبنيّة على القبور ، وأنه أمر توارثته الأُمّة الإسلاميّة .

فمِن نصّ الكوثري في ذلك ردًّا على بعض مَنْ [٢] يرى هدمها منكرًا عليه متعجبًا منه :

« فعلى هذا الرأي من صاحب التوقيع يجب على أولياء الأُمور في بلاد الإسلام أن يمسكوا بمعاول الهدم ليُعْمِلوا في هدم قباب الصحابة وأئمّة الدين وصالحي الأُمّة في مشارق الأرض ومغاربها ، والمساجد المضافة إليهم ، وقباب ملوك الإسلام وأُمراء الإسلام وغيرهم من كلِّ قطر ؛ مع توارثت الأُمّة من خلاف ذلك خالفًا عن سالف » [٣].

قلتُ : تدبّر في استنكار هذا الخرافي وتعجبه !!

ومن المعلوم أنَّ من واجب الأمراء والولاة المبادرة إلى هدمها ، وعلى ذلك سلف هذه الأمّة ، وهو مذهب أئمّة السنّة .

وأنْ لا حجّة في توارث الجهّال العوام الطغام .

٣ - يحوز الصلاة في المقبرة ، ويجوز الصلاة في مسجد اتُّخذ قرب رجل صالح بقصد التبرُّك بآثاره ، وإجابة دعائه هناك ، وقصد الاستظهار بوجه من الوجوه

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٧) .

(٢) لم أعرف من هو ؟

(٣) « مقالات الكوثري » (١٥٦ - ١٥٧) .

أَو وصول أَثر من آثار عبادة ذلك الولي إِليه [١] .

قلت : وزيارة القبور وشدّ الرحال إِلى تلك المساجد المبنيّة لهذه الأَغراض من أَسباب الشرك .

٤ - يجوز إِيقاد السرج والشموع على القبور ؛ تعظيمًا لروح الميت المُشرقة على تراب جسده كإِشراق الشمس على الأَرض ؛ إِعلامًا للنّاس أَنّه ولي ليتبرّكوا به ، ويدْعوا عنده ، فيستجاب لهم، وهذا أَمر جائز لا منع فيه ، والأَعمال بالنيّات [٢] .

قلت : تدبّر أَيُّها المسلم في خرافات هذا الرَّجل كيف يدعو جهارًا إِلى الوثنيّة المجوسيّة دون حياء ولا وازع .

٥ - إِنَّ النبيّ ﷺ يشفع في البرزخ ، ويعلم بسؤال السائل .

ثمَّ استدلَّ الكوثري بالمنام الذي هو من حجج العوامّ [٣] .

٦ - إِنَّ النبيّ ﷺ يعلم علم اللوح والقلم ، وليس الغيب ،ولا العلم كلّه مافي اللوح فقط [٤] .

قلت : قد تبيّن للناس أَنَّ الكوثريّ والكوثريّة خُرابيُّون جدًّا في هذا [٥].

ولا شكَّ أَنَّ ممّا في اللوح حركات هذا العالم كلّه ،وما بعد هذا الكون ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وكلُّ صغير وكبير مستطر ﴾ [٦].

---

(١) « مقالات الكوثري » (١٥٧) .

(٢) « مقالات الكوثري » (١٥٨) ، نقلًا عبدالغني النابلسي الصوفي الخرافي الحنفي .

(٣) « مقالات الكوثري » (٣٨٩) .

(٤) « مقالات الكوثري » (٣٧٣) .

(٥) قارن هذأ بما في « البريلويّة » (٩٧ - ٨٨) للعلّامة إِحسان إِلٰهي .

والبريلويّة : فِرْقة ضالّة قائمة فكرها على الغلوّ والخرافة والانحراف .

(٦) القمر : ٥٣ .

ومن ذلك الأُمور الخمسة التي نصَّ اللهُ تعالى على أَنّها لا يعلمها أَحد غير الله تعالى :

قال جلّ وعلا : ﴿ إِنَّ الله عنده علم الساعة وينزّل الغيثَ ويعلمُ في الأَرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا وما تدري نفسٌ بأَيِّ أَرضٍ تموتُ إِنَّ اللهَ عليم خبير ﴾ .

كما تبيّن للناس أَنَّ الكوثريّ والكوثريّة من المشبِّهة الأَقحاح .

ولكن لا من جهة واحدة ، بل من جهتين :

□ **الأُولى** : أَنَّهم عطّلوا كثيرًا من صفات الله تعالى ، وحرّفوا نصوصها إلى أَن شبَّهوا الله تعالى في صفات النقص بالإِنسان الأَبكم والحيوانات العجماوات والجمادات الصامتات بل المعدومات والممتنعات .

□ **والثانية** : أَنّهم شبّهوا المخلوق في صفات الكمال بالله تعالى ، كما ترى ههنا ، فالطريقةُ الأُولى طريقةٌ يهوديّةٌ ، والثانيةُ طريقةٌ نصرانيّةٌ [١] .

والكوثري والكوثريّة قد جمعوا بين هاتين الاثنتين .

٧ - يجوز زيارة القبور للبركة بها والدعاء عندها فيستجاب لهم ، كما يجوزُ زيارةُ القبور للاستعانة بنفوس من الأَخيار من الأَموات في استنزال الخيرات ودفع الملمّات [٢] .

---

(١) انظر « درء التعارض » (٧ / ٨٦ - ٨٨ ، ٩٥ ، ٢٦٠ - ٢٦١) و « الوصيّة الكبرى » (٤٩ - ٥٠) ، « مجموع الفتاوى » (٣ / ٣٧١ - ٣٧٢) كلُّها لشيخ الإِسلام ابن تيميّة و « شرح الطحاويّة » (٢٣٧) للعلّامة ابن أَبي العزّ الحنفي .

(٢) « مقالات الكوثري » (٣٨٥) ، و« تبديد الظلام » (١٦٢) ، عن التفتازاني الحنفي الماتريدي الخرافي وقارنه بـ « عقيدة البريلويّة » ، انظر البريلويّة (٥٦ - ٦١) ، تجد العَجَب العجاب ، وتحكم على الكوثريّة أَنّهم خرافيّون بدون ارتياب .

قلت : تدبّر أَيُّها المسلم الموحّد إلى قلّة حياء هذا الرَّجل القبوري ، كيف يصرّح جهارًا بما هو من صميم عقيدة مشركي العرب الوثنيّة .

بل كان مشركو العرب يدعون الله تعالى وحده لدفع الملمات كما أَخبر الله عنهم .

ومصدر الكوثري في هذا الشرك الأَكبر الأَظهر هو فيلسوف الماتريديّة التفتازاني (٧٩٢ هـ) الذي تابع القرامطة الباطنيّة .

والذي ادعى أَنّه رأى النبيّ ﷺ يقظةً لا منامًا ، فتفل في فيه فتضلّع علمًا ونوراً !!

٨ - يعتقد الكوثري أَنَّ أَرواح الأَولياء تظهر منها آثار في أَحوال هذا العالم ، فأَرواح الأَولياء هي المدبّرات لهذا العالم [١] .

وعلى هذا الكفر البواح والشرك الصراح حمل قوله تعالى : ﴿ والمدَبِّرات أَمرًا ﴾ .

وسلف الكوثري في هذا الكفر هو الفخر الرازي فيلسوف الأَشاعرة (٦٠٦ هـ) .

وقد كنّا نظنُّ أَنَّ هؤلاء الغلاة وقعوا فيما يضاد توحيد الألوهيّة .

ولكن تبيّن الآن أَنّهم ارتكبوا الشرك حتّى في الربوبيّة وتدبير هذا العالم .

والله تعالى وفّق العلامة الألوسيّ مفتى الحنفيّة ببغداد (المتوفّى سنة ١٢٧٠ هـ) فوقف لهم بمرصاد وردَّ كيدهم في نحرهم ، كفانا الله شرّهم .

٩ - يقول الكوثريُّ : إِنَّ مواقد الأَولياء معدّة لفيضان أَنوار كثيرة منهم على

---

(١) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٢) ، و « تبديد الظلام » (ص ٦١) .

الزائرين كما يشاهده أَهل البصائر [١] .

قلت : سلفه في هذه الخرافة هو الجرجاني الحنفي (٨١٦ هـ) الذي أَوصلته عقليته الفاسدة إِلى عقيدة وحدة الوجود حتّى باعتراف أَهل مذهبه وشهادة ذوي مشربه [٢] .

١٠ - إِنَّ تلك النفوس لمّا فارقت أَبدانها فقد زال الغطاء ، وانكشف لها عالم الغيب .

فثبت انتفاع الزائرين بزيارة الموتى والقبور [٣] .

قلت : قصده بهذا إِثبات التصرّف وعلم الغيب لأَرواح الأَولياء ، ليدعو النّاس إِلى الاستعانة بهم في الكربات بحجّة أَنّهم يسمعون ويعلمون ويتصرّفون .

وتعامى عمّا قاله أَئمّة الحنفيّة :

« إِنْ ظنَّ الميت يتصرّف في الأُمور دون الله تعالى واعتقاده ذلك كفر » [٤].

وما قالوا : « مَنْ قال : أَرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر » [٥] .

١١ - يجوز النداء للرسول ﷺ بعد وفاته لتفريج الكربات ، وأَنَّه عمل متوارث بين الصحابة رضي الله عنهم [٦] .

---

(١) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٦ ، و « تبديد الظلام » (ص ١٦٢) .

(٢) انظر خرافاته في معنى « الظلّ » و « ظلّ الإِله » و « الغوث » و « القطب » و « الأَوتاد » في « تعريفاته » (ص ٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٩ ، ٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٣) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٣) .

(٤) « البحر الرائق » (٢ / ٢٩٨) ، و « ردّ المختار » (٢ / ٤٣٩) ، قبيل باب الاعتكاف .

(٥) « الفتاوى البزازيّة » المسمّاة « الجامع الوجيز » على هامش « الفتاوى الهنديّة » (٦ / ٣٢٦) ، و « البحر الرائق شرح كنز الحقائق » (٥ / ١٢٤ ٩ وفي ط (٥ / ١٣٤) .

(٦) « مقالات الكوثري » (٣٩١) .

كما يجوز النداء له ﷺ في غيبته [١] .

قلت : هذه بعينها عقائد الوثنيّة .

١٢ – حرّف الكوثريُّ ما ورد من نصوص التوسل والوسيلة في الكتاب والسنّة إلى يلي :

أَنَّ « التوسُّل » لغةً وشرعًا هو التوسل بذات الولي وشخصه في حضوره وغيبته ، وبعد موته ، وبذلك جرت الأمّة طبقة فطبقة رغم كلّ مفتر أَفّاك [٢] !

قلت : الكوثري هو الأَفاك المفتري المقوّل المتقوّل .

١٣ – أَنَّ « التوسل » بدعاء الحيّ ، وطلب الدعاء من المتوسَّل به – ليس من « التوسّل » لا لغة ولا شرعًا [٣] .

١٤ – أَنَّ الفرق بين التوسل به ﷺ في حياته وبين التوسّل به ﷺ بعد مماته – بجعل الأَوّل جائزٌ دون الثاني – مأَخوذ من اليهود [٤] ، بل أَحدثه غلاة المنافقين من اليهود [٥] .

١٥ – يجوز استعمال لفظي الاستعانة والاستغاثة في صدد التوسُّل [٦] .

١٦ – حرّف الكوثري قصّة توسّل عمر بن الخطّاب بالعباس رضي الله

---

(١) « مقالات » (ص ٣٨٩) .

(٢) « مقالات الكوثريّة » (ص ٣٧٨ – ٣٨٠ ، ٣٨٦) .

(٣) « مقالات » (ص ٣٨٧) .

(٤) « تبديد الظلام » (ص ١٥٥ – ١٥٦) ومصدره « دفع الحصنى » (٦٤) .

(٥) انظر « مقدمة الكوثري لـ « البراهين الساطعة » لسلامة القضاعي الهندي الصوفي النقشبندي .

(٦) « مقالاته » (ص ٣٩٥ – ٣٩٦) .

عنهما [١] فقال : « عدول عمر رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ إلى التوسّل بالعباس رضي الله عنه لم يكن لأَجل أَنَّ الرسول ﷺ ميت لا يسمع النداء ، أَو أَنَّ التوسّل بالأَنبياء بعد موتهم لا يجوز ؛ بل من حمل صنيع عمر رضي الله عنه هذا على قصر التوسّل به ﷺ في حياته - فقد حرّف الحديث ، وحاول المحال ، ونسب إلى عمر ما لم يخطر له على بال ، وأَبطل السنّة الصحيحة بالرأي [٢] .

قلت : ظهْرُ الأَرض لم يخلُ عن أَهل العلم وطالبي الحقّ والإِنصاف حتّى ممّن يعظّمهم الكوثريّ أَو يُعَظّمونَه !! فليتدبّروا في تلبيس الكوثيري وتدليسه ، وتحريفه ، وتزويره وقلبه للحقائق ، وكونه آية فيما يقال : « رمتني بدائها وانسلّت » .

هل صنيع عمر رضي الله عنه حجّة للكوثريّ أَم حجّة عليه وعلى ذويه من القبوريّة الخرافيّة والجهميّة الصوفيّة ؟ وهل توسّل الخلف كتوسّل السلف ؟

معاذ الله سبحان الله عمّا يصفون .

فقد قال العلامة المحدّث أَنور شاه الكشميري الديوبندي الملقب (عندهم) بإِمام العصر (١٣٥٢ هـ) في شرح توسّل عمر بالعباس رضي الله عنهما :

« ليس في التوسّل المعهود الذي يكون بالغائب حتّى قد لا يكون به شعور أَصلًا ، بل فيه توسّل السلف : وهو أَنْ يقدّم رجلًا ذا وجاهة عند الله تعالى ، ويأمره أَن يدعو لهم ثمّ يحيل عليه في دعائه .

---

(١) ونصّ القصة على ما روي عن أَنس رضي الله عنه : « أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إِذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب ، فقال : « اللهمّ إِنّا كنّا نتوسّل إِليك بنبيّنا فتسقينا ، وإِنّا نتوسّل إِليك بعمّ نبينا فاسقنا » قال : « فيسقون » .

رواه البخاري في « الاستسقاء » باب سؤال الناس الإِمام ... » (١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ ، و« فضائل الصحابة » ، باب ذكر العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه (٣ / ١٣٦٠) .

(٢) « مقالات الكوثري » (ص ٣٨٠) .

كما فعل بعباس رضي الله عنه عمِّ النبيِّ ﷺ .

ولو كان فيه توسّل المتأخرين لم احتاجوا بإذهاب عباس رضي الله عنه معهم ، ولكفى لهم التوسّل بنبيهم بعد وفاته أَيضًا .

ثمَّ ذكر دعاء العباس رضي الله عنه [١] .

وقال أَيضًا : « واعلم أَنَّ التوسُّل بين السلف لم يكن كما هو المعهود بيننا ، فإنّهم إذا كانوا يريدون أَنَّ يتوسّلوا بأَحد كانوا يذهبون بمن يتوسلون به أَيضًا معهم ، ليدعو لهم ، ثمّ يستعينون بالله ويدعونه ...

أَمّا التوسُّل بأَسماء الصالحين - كما هو المتعارف عليه في زماننا - بحيث لا يكون للمتوسلين بهم علم بتوسلنا ، بل لا يشترط فيه حياتهم أَيضًا ، وإنّما يتوسل بذكر أَسمائهم فحسب ، زعمًا منهم أَنَّ لهم وجاهةً عندالله وقَبولًا فلا يضيّعهم بذكر أَسمائهم فذلك أَمر لا أُحبُّ أَنْ أَقتحم فيه ...

وأَمّا قوله تعالى : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾، فذلك وإِنْ اقتضى ابتغاء واسطة ، لكن لا حجّة فيه على التوسُّل المعروف بالأَسماء فقط .

وذهب ابن تيميّة إلى تحريمه ، وأَجازه صاحب « الدر المختار » ، ولكن لم يأت بنقل عن السلف » [٢] .

قلت : كلام العلامة أَنور شاه هذا - مع ما فيه من بعض الملاحظات - يردُّ كيدَ الكوثريّ وأَمثاله في نحورِهم من كلِّ ثرثريّ ، وأَنَّ تمسكهم بنصوص الكتاب والسنّة وحملهما على التوسّل المبتدع الخَلَفيّ باطلٌ وتحريف وتحميل لها ما لا يحتمل .

وتبين للناس من هو المفتري الأَفّاك ؟ ومَنْ هو المحرّف ؟ ومن الذي تابع اليهود ؟

---

(١) « فيض الباري » (٢ / ٣٧٩) .

(٢) « فيض الباري » (٣ / ٤٣٤ - ٤٣٥) .

ومن حاول المحال ؟ هل هو العلامة أَنور شاه ، أَم الكوثريّ ؟!

ولا تخفى على النّاس أَنَّ منزلة العلامة أَنور شاه عند الكوثريّ رفيعة جدًّا ، وقد بالغَ في إِجلاله وإِكباره [١] .

أَمّا مبالغات الكوثريّة في إِجلال العلامة أَنور شاه ، وما نسجوه غُلوًّا فيه ، فشيء لا يخطرُ بالبال .

ولكنَّ الكوثري في مسألة التوسّل قد رماه بأَنّه مفتر أَفّاك من حيث لا يشعر .

وقد صرّح شرّاح قصّة توسل عمر بالعباس - بما فيهم كبار أَئمّة الحنفيّة - بأَنَّ هذا من باب التوسّل إِلى الله تعالى بدعاء الحيّ بمعنى أَنَّ ذلك الحيّ يدعو للمتوسل [٢] ، وليس ذلك من قبيل توسّل أَهل البدع الماتريديّة أَو الكوثريّة وغيرهم من القبوريّة كالبريلويّة .

وللعلامة الآلوسي المفسّر مفتي الحنفيّة ببغداد (١٢٧٠ هـ) مبحث علمي دقيق في تفسير آية الوسيلة ، ومعنى توسّل عمر بالعباس رضي الله عنه ، والفرق بين توسّل السلف وبين توسّل الخلف من أَهل البدع ، فهو كافٍ شافٍ لقلع نسج الكوثريّ والكوثريّة وغيرهم من أَهل البدع فراجعه [٣]

---

(١) انظر « مقالات الكوثري » (٣٥٩- ٣٦٠) ، ومقدمة أَبي غدّة الكوثري لكتاب « التصريح بما تواتر في نزول المسيح » (ص ٦ ، ٢٦) .

(٢) انظر « بهجة النفوس » بشرح مختصر « صحيح البخاري » المسمّى « جمع النهاية في بدء الخبر والغاية » (٢ / ٦٠) لأَبي محمد عبدالله بن الأَزدي الأَندلسي (٦٩٩هـ) و « عمدة القارئ » للبدر العيني الحنفي (٧ / ٣٢ - ٣٣) ، و « شرح الطحاويّة » لابن العزّ الحنفي (ص ٢٦٣) ، و « البدور البازغة » للإِمام ولي الله الدّهلويّ إِمام الحنفيّة في وقته (ص ٢٠٤) ، على ما نقله شيخنا العلامة محمد طاهر بن آصف الحنفي الملقّب بشيخ القرآن في كتاب « البصائر » (ص ١٧) وأَقرّه ، ولم أَجده في « البدور » .

(٣) « روح المعاني (١ / ١٢٥ - ١٢٩) ، ولا تنس أَيضًا ما كتبه أَئمّة السنّة من الكتب القيّمة ومن أَهمّها « التوسل والوسيلة » لشيخ الإِسلام ، و « التوسّل » لشيخنا الأَلبانيّ .

وإذا عرف القرّاء الكرام أَنَّ توسُّل الخلف غير توسّل السلف ، وأَنَّ توسُّل الخلف بعيد عن مقصود نصوص التوسُّل في الكتاب والسنّة ، فنقلب على الكوثريّ الآن ما قاله هو بلسانه وكتبه ببنانه ، قال :

« إِنَّ حمل النصوص والآثار على المصطلحات التي ظهرت بعد عهد التنزيل بدهور بعيد عن تخاطب العرب وتفاهم السلف بهذا اللسان العربيّ ، ومن زعمَ ذلك فقد زاغَ عن منهج الكتاب والسنّة ، وتنكّب سبيل السلف الصالح ، ومسلك أَئمّة أُصول الدين ، ونابذ لغة التخاطب ، وهجر طريقة أَهل النقد في الجرح والتعديل والتقويم والتعليل » [١] .

قلت : هكذا أَخزى الله هذا الكوثري حتّى صار فريسة للتناقض الواضح الفاضح ، وانتحر بشفرته التي سطّر ، بحث صارت حجته منقلبة عليه ، وحمل نصوص الشرع على المصطلحات البدعيّة ، ومنها التوسّل القبوريّ .

١٧ - طَعَنَ الكوثريُّ - لغلوّه في الخرافات القبوريّة - في حديثين صحيحين ، رواهما مسلم وغيره :

○ **الأَوّل** : حديث جابر رضي الله عنه في النهي عن تجصيص القبور .

○ **والثاني** : حديث علي رضي الله عنه في الأَمر بتسوية القبور المشرفة [٢] .

١٨ - تشبث الكوثري لدعم خرافاته القبوريّة حتّى بالمنامات [٣] ولكن لا بمنامات سلف هذه الأُمّة وأَئمّة السنّة ؛ بل بمنام الفخر الرّازي (٦٠٦هـ) ، ومنام « الفردوسي » الذي تشبث بمشورة روح « رستم » الكافر الفاجر ، فوقع في خزي مبين [٤] .

---

(١) « تعليقات الكوثري على « الأَسماء والصفات » للبيهقي (ص ٤٥٥) .

(٢) انظر بيانَ خيانتِه في تضعيفها ، وكشف كذبه وزوره في كتابينا « الماتريديّة » (٣ / ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٣) انظر « مقالات الكوثري » (٣٨٢ - ٣٨٣) .

(٤) الفردوسي : هو أَبو القاسم حسن بن محمد الطوسي الشاعر الفارسي مؤلّف « شاه =

١٩ - يدعو الكوثري إلى التحاكم والفزَع إلى أَساطين الكلام والتفلسف ؛ أَمثال الرازي (٦٠٦ هـ) والتفتازاني (٧٩٢ هـ) والجرجاني (٨١٦ هـ) وغيرهم لحلِّ أَخطر المسائل المتعلقة بتوحيد الأُلوهيّة وما يضادّه من الشرك أَو ما يوصل إِليه [١].

وقد عرف أَلبَّاء القرّاء حقيقة توحيد المتكلمين وحقيقة معرفتهم له ، وما يضادّه فالتحاكم إِلى أَمثالهم ،والتعامي عن طريقة سلف هذه الأُمّة وأَئمّة السنّة عين الضلال والإِضلال .

هذه كانت نبذة عن عقيدة الكوثري ، ومناقضته لتوحيد الأُلوهيّة .

تبيّن بها لطالبي الحقّ والإِنصاف - ولا دواء لأَدواء أَهل الاعتساف - أنَّ الكوثري عريق في قبوريته ، كما هو غريق في جهميته .

وفي هذا القدر كفاية .

□ وأَمّا أَتباعه الكوثريّة :

فهم ليسوا بأَحسن حالًا من الكوثري ، وفيما يلي ذكر أَربعة (كبار) منهم :

١ - أَحمد خيري (١٣٨٧هـ) ، وهو حنفي ، ماتريدي ، كوثري ؛ بل هو قبوري خرافي ، بل رافضي له ميل إِلى الباطنيّة ، وكان يسبُّ شيخ الإِسلام سبًّا شنيعًا فظيعًا ، وهو الّذي ألّف كتابًا في ترجمة « الكوثري » بعنوان « الإِمام الكوثري » مطبوع في أَوّل مقالات الكوثريّ .

= نامه » ألّفه للسلطان محمود سبكتكين توفي بعد (٣٨٤ هـ) « كشف الظنون » (٢ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦) ،وأمّا « رستم » فهو ابن « فرخ زاد » ؛ كان كافرًا مجموسيًّا ، وثنيًّا ، قائدًا للفُرس ، ملكًا لهم نيابة عن « بوران » بنت كسرى .

وهو الذيالذي قد فعل الأَفاعلي ضدّ المسلمين حتّى قتله الله تعالى يوم « القادسيّة » ، راجع للتفصيل « البداية والنهاية » (٧ / ٢٦ - ٢٧ ، ٤٤) .

(١) « مقالات الكوثري » (٣٨١ - ٣٨٢) و « تبديد الظلام » (١٦٠ - ١٦٢) .

وكان يقرأ « قصيدة البردة » [١] على شيخه الكوثري ويقول متعجّبًا منكرًا بعد ما ذكر بعض المتصوفة :

« أفيعقل أَنَّ هؤلاء العلماء الأَعلام كلّهم أَشركوا من أَجلّ سواد عيني ابن عبدالوهاب النجدي ؟ وهل لأَنّه لا يفهم روائع المعاني التي في البردة نرمي عقولنا ، ونسبُّ سلفنا ، ونطيع النجدي المتعسّف ؟ » [٢].

ومن نماذج إِجلاله للكوثري وشتائمه لشيخ الإِسلام ما يقول في قصيدة له :

وغاب عن الدنيا بغيبةِ زاهدٍ حديثٌ وتوحيدٌ وفقهٌ عريقه

ويعصمُ بالبرهان رأي أَئمّةٍ ويقصم شريرًا تَفَشَّى مروقُه

ثمَّ قال في الحاشية : « المراد بالشرّير » ابن تيميّة .. وكان الأُستاذ حربًا على ابن تيميّة وعلى سواه ممّن حادوا عن جادّة الدين » [٣].

وقال : « كان من اللاعبين بدين الله » [٤].

قلت : أَيّ توحيد غاب بغيبة زاهد الكوثري ؟ فإِنَّه توحيد الجهميّة وتوحيد القبوريّة ؟

---

(١) للبوصيري الصوفي محمد بن سعيد البوصيري الدلامي الصنهاجي (٦٩٤ هـ) .

انظر ترجمته وقصة خرافية لقصيدته البردة في « الوافي بالوفيات » (٣ / ١٠٥ - ١١٣) ، وهو غير البوصيري المحدّث أَحمد بن أَبي بكر بن إِسماعيل الكنّاني (٨٤٠ هـ) صاحب « مصباح الزجاجة » .

انظر ترجمته في « الضوء اللامع » (١ / ٢٥١ - ٢٥٢) ، وللحنفيّة الماتريديّة ولاسيما من كان منهم في البلاد التركيّة والروميّة شغف عظيم بهذه القصيدة ، فقد تهافتوا عليها تهافت الفراش على النّار ، راجع « كشف الظنون » (٢ / ١٣٣١ - ١٣٣٦) .

نقول : انظر « ص ؟؟؟ » من هذا العدد من (**الأَصالة**) لمعرفة نقد إِجمالي لهذه القصيدة . (**الأَصالة**) .

(٢) « الإِمام الكوثري » (٥٢ - ٥٣) وقوله : « وهل ... » ركيك صكيك .

(٣) المرجع نفسه (ص ٧٨ - ٧٩) .

(٤) الإِمام الكوثري » (ص ٢٣) .

وإذا كان أَمثال ابن تيميّة من اللاعبين بدين الله !

فهل يكون الكوثري والكوثريّة أَنصار دين الله !

وأَمّا كلمته الوقحة : « ... شريرًا تفشّى مروقُه » .

فقد ذَكَّرتْني قولَه تبارك وتعالى عن تأسُّف المشركين في نار جهنّم ، وندامتهم على ما ارتكبوه من البهتان والعدوان على أَولياء الرحمٰن بعد فوات الأَوان : ﴿ وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنّا نعدّهم من الأَشرار اتخذناهم سخريًّا أَم زاغت عنهم الأَبصار ﴾ ، لعن الله الأَشرار ، وقاتل الفجّار .

٢ - كوثريّ آخر يدعى : « محمد يوسف البنوري » (١٣٩٧ هـ) كان علّامة في المعقول والمنقول ، وكان من العلماء الأَفذاذ الأَذكياء ، وكان من كبار أَئمّة الديوبنديّة ، ولكن أُصيب بداء الكوثري المفتري .

فقد شغفه الكوثريّ حبًّا ، وكتب مقدمة فتّاكة مسمومة لمقالات الكوثريّ سايره في جميع ضلالاته وشركياته وشتائمه لأئمّة السنّة وسلف هذه الأُمّة ، فقد كشف هذا الرَّجل بهذه المقدمة عن حقيقته وحقيقة الديوبنديّة البنوريّة .

٣ - الشيخ رضوان محمد رضوان المصري .

وهذا هو الذي تولّى كِبْرَ جمع مقالات الكوثريّ وطبعها [١] .

وهذا دليل قاطع على كونه خرافيًّا كبيرًا .

وربما ظنّ أَنَّه كسب بجمع هذه المقالات رضوان الرحمٰن ، ولكنَّه اكتسب رضوان الشيطان وسخط الرحمٰن .

٤ - الشيخ عبدالفتّاح أَبو غدّة السوري أَبو الزاهد الكوثري .

وهو على حظٍّ وافرٍ من العلم ، قد حصَّلَ كثيرًا من العلوم كما حصَّلَ جانبًا من الدنيا .

---

(١) كما صرّح به البنوري في مقدمته لـ « مقالات الكوثري » : ل .

ولكنّه أُصيب بداء الكوثريّ ، فصار أَبا غدّة حقًّا ، بل أَبا غُدَدٍ صدقًا [١] .

وهو مستوطن في بلاد نجدٍ ، وهي بلاد التوحيد والسلفيّة [٢].

وأَطرق رأسه إِطراق الكرى خوفًا من سيف البُرهان والسلطان .

يبثُّ في غضون تعليقاته سموم سلفه وشيخه الكوثري بطرق خفيَّة سريّة لا ينتبه لها إِلّا من عرف السنّة وأَهلها والبدعة وأَهلها حقَّ المعرفة [٣] .

وكان يصرّح ويجاهر في خطبه على المنبر في بلده - قديمًا - بما كان يرتكبه ضدّ التوحيد والسنّة وأهلهما من البهتان والعدوان ، ولا سيّما ضدّ من يسميهم « الوهابيّة » كعادة خلطائه من أَهل الأَغراض والأَمراض ، ويرميهم بأَنواع من التهم ومنها العداء والضغينة لرسول الله ﷺ ، ولكن لما نزلَ البلاد النجديّة -بلاد التوحيد- اكتفى ببثِّ السموم بطرق سريّة ، مع شيءٍ من المداراة والتملّق ، ولسان حاله ينشد :

دارهم ما دمت في دارهم وأَرضهم ما دمت في أَرضهم [٣]

ولشيخنا الأَلباني كلمة عنه تصلح « رسالة » وهي مطبوعة في مقدمة « شرح الطحاوية » منذ سنين كثيرة ، كشف فيها عن كثير من مخازيه ، وقد اعترف بصحّة تقسيم التوحيد إِلى الربوبيّة والأُلوهيّة والصفات [٤] .فإِن كان من إِخلاصه لا لغرضه ، ففيه دواء لبعض مرضه .

وقد كتبتُ رسالة بعنوان « العمدةُ لكشف الأَستار عن أَسرار أَبي غدّة » .

ولكن فوجئت برسالة قيّمة للدكتور بكر بن عبدالله أَو زيد حفظه الله وعليها « تقريظ » لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى عنوانها :

---

(١) « الغدّة » : طاعون الإِبل ، انظر « القاموس » .

(٢) أَمّا عند الكوثريّة فهي بلاد الشرك والوثنيّة .

(٣) راجع مقدمة الأَلباني على « شرح الطحاويّة » (ص ٤٤) .

(٤) « كلمات في كشف أَباطيل وافتراءات » (ص ٣٧) .

« براءة أَهل السنّة من الوقيعة في علماء الأُمّة » [١] .

فكفى الله المؤمنين القتال ، وبهذه الرسالة قد عرفه كثير ممن جهلوا حقيقته ، ولعلّ رسالتي تظهر فتظهر شيئاً من سيرته وسريرته .

وقد ذكرت بعض نماذج لمسايرته لشيخه الكوثري في كتابي « الماتريديّة » (١ / ٣٧٠) وفيما يلي مثال آخر يدلُّ على كونه عريقًا في البدع القبوريّة :

ذكر أَبو غدّة قصّة رحلته إِلى الهند وزيارته لقبر الإِمام العلّامة عبدالحي اللكنوي (١٣٠٤ هـ) رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وذكر أَنَّ أُسرة هذا الإِمام أَحسنوا في ضيافته .

وذكر أَنّه مدفون في بستان الأَنوار ، وبجانبه مسجد تقام فيه الصلوات !

ثمَّ قال : « ورأيت قبر الشيخ عبدالحي رحمه منحوتًا من المرمر الرخام الأَبيض ، ومكتوبًا عليه قول تلميذه « عبدالعلي المِدْراسيّ » [٢] ، من قصيدة له في رثائه ... :

أَيُّها الزوّار قف واقرأ على هذا المزار

سورة الإِخلاص والسبع المثاني والقنوت[٣] »

أَقول : لي عليه تنبيهات :

أ - أَنَّ من المعلوم بالاضطرار من دين الإِسلام أَنَّ البناء على القبر وتشييده وجعله مزيّنًا بهذه الصورة من أَكبر الجرائم المستوجبة للعنة ، ومن أَعظم أَسباب الشرك ، وهو من صنيع اليهود والنصارى .

---

(١) وكان الأَنسب أن تسمّى : « براءة أَهل السنّة » عن وقيعة أَهل البدعة » .

(٢) هو العلامة عبدالعلي بن مصطفى الأَسى المدارسي الحنفي الماتريدي من كبار علماء الهند (١٣٢٧هـ) ترجمته في « نزهة الخواطر » (٨ / ٢٦٦) .

(٣) أنظر مقدمة أَبي غدّة لـ « الرفع والتكميل » (ص ٨) الطبعة الأُولى ، و (١٤ - ١٥) ، الطبعة الثانية المزيدة المنقحة (١٤٠٧هـ) .

ب - أَنَّ من الواجب المهمّ هدم مثل ذلك .

ج - أَنَّ هذا المنكر الشنيع الفظيع يجب إِنكاره ، إِمّا باليد بهدمه ، وإِمّا باللسان ، وعلى أَقلِّ تقدير بالجنان .

وأَبو غدّة لم يفعل واحدا من ذلك ، ولم يتمعّر وجهه وجبينه في الله تعالى ، وكيف ينكر على ذلك أَبو غدّة ؟

وهو لا يراه منكرًا ، وربّما يراه تعظيمًا للمقبور وإِكرامًا له ، ثمّ أُسرة المقبور أَحسنوا ضيافته ، فكيف ينكر عليهم ، وهم قد أَلقموه لقمة بل لُقَمًا ؟!

خلق الله للحروب رجالًا ورجالًا لقصعة وثريد

د - تزيين مثل قبر أَمثال هذا الإِمام المبجل المعظم في مثل بلاد الهند المكتظّة بالشركيات القبورية ، والخزعبلات الصوفيّة - ليس إِلّا دعوة للشرك والوثنيّة .

هـ - أَين ورد في الكتاب والسنّة قراءة سورة الإِخلاص والسبع المثاني والقنوت على القبر أَو وقت زيارة القبور ؟ مع تصريح كبار أَئمّة الحنفيّة بأَنَّه لا يجوز لزائر القبور إِلّا ما ورد في السنّة الصحيحة من الدعاء لأَهلها كما كان رسول الله ﷺ يفعله [1] .

... وبعد ؛ فهذه نبذةٌ عامّة عن الكوثريّ والكوثريّة ، لعلَّ اللهَ سبحانه يهدي بها بعضَ مَن لا يزالُ غافلاً من الطيّبين المُخلصين مِمّن راج عليهم تلبيس المُلبِّسين ، وتزيين المُزَيّنين ، واللهُ المستعان .

---

(١) انظر « فتح القدير » للإِمام ابن الهمام (٢ / ١٤٢) . و « البحر الرائق » للإِمام ابن نجيم (٢ / ١٩٦) ، و « الفتاوى الهنديّة » (١ / ١٦٦) و « ردّ المحتار » (٢ / ٢٥٩) .

مسائل وأجوبتها

العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألبانيّ

السؤال : نفساء طهرت ، ثم نزل منها الدم بعد أيام ، فهل يُعَدُّ هذا دم استحاضة ، أم غيره ؟

الجواب : إذا كانت تجاوزت مدة النفاس الأكبر ، وهي أربعون يومًا ، فهذا الدم بلا شك دم استحاضة ، وليس دمَ نفاس ، وإن كانت طهرت في ظنِّها قبل إتمام الأَربعين فمن المحتمل أن يكون تطهرها قبل انتهاء الأربعين خطأً منها وحينذاك ينظر إلى الدم الذي عرض لها ، فإن كان دمًا أسودَ كدم الحيض والنفاس عادة تُعَدُّ نفسها لم تطهر بعد ، وتُمسك عن الصلاة وعن الصيام ونحو ذلك مما هي ممنوعة منه شرعًا .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سؤال : امرأة عليها قضاء أيام من رمضان الماضي بسبب الحيض ، والآن هي حامل ، ورمضان وشيك القُدومِ ، ولا تستطيع أن تقضي إلا بعد انقضاء شهر رمضان القادم ، فكيف تتصرف ؟

الجواب : إذا كان بإمكانها قضاء أيام رمضان المترتبة عليها بعد رمضان ، فتفطر وتقضيها فيما بعد ، بمعنى وجوب القضاء على التراخي، المهم تبرّئ ذمّتها من هذه الفريضة ، لكن إذا افترضْنَا أنها ماتت قبل أن تبرىء ذمتها ، فيجب عليها حينئذٍ أن توصي بإخراج كفارة عنها ، والكفارة واردة هنا في مثل هذه الحالة .

أما إذا لم تكن حاملًا ولا مرضعًا وفاتها أيامٌ من رمضان بسبب الحيض ، فعليها

القضاء ، وإذا اتصل معها الحمل والرضاع فيجوز أَنْ تُؤَخِّر ، ثم تقضي بدون فدية ولا كفارة .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

سؤال : امرأةٌ حامل أَفطرت النصف الأول في رمضان ، عملًا برخصة الفطر لها ، بناء على حديث : « إنَّ الله وضع الصوم عن الحامِل والمرضع » ، وبنيةِ أنه ليس عليها قضاء ، وإنما الفدية فقط ، حسب فتوى ابن عباس رضي اللهُ عنه ، ثم نفست النصف الثاني من رمضان ، وحرم عليها الصيام أثناء مدة النفاس بسب النفاس ، فهل يجب عليها قضاء أيام النفاس التي أفطرتها ؟ وإذا كانت اعتبرت نفسها مرضعًا أثناء فترة النفاس ، فهل يسقط عنها وجوب القضاء ، بناء على الحديث السابق ؟

الجواب : إذا وَافَقَ أنها صارت بنفاسها مرضعًا ، فالجواب كما كان وضعها وهي حامل ، ليس عليها قضاء ، وإنما عليها الفدية .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

السؤال : هل يجوز إخراج زكاة الفطر قبل موعدها بأيام أو أسابيع ؟

الجواب : هذا لا يجوز ، لأنَّه يُضادُّ الحكمة التي رمى إليها الشارع من جراء إخراج زكاة الفطر ، فهو أراد أن يغني الفقراء عن السؤال في يوم العيد ، فإذا أخرجها قبل العيد بمدة أسبوع أو أكثر ، فلا شك أن الغاية تنتفي من جراء هذا العمل ، لأن الفقير ينتفعُ بالصدقةِ في تلك الأيام التي استلمها فيها ، فيأتي يوم العيد ، فيمكن أن يكون محتاجًا فقيرًا .

وبخاصّةٍ مع وُرودِ علّة الحُكم في ذلك أَنّها « طُهرة للصائمِ » ، وهذا لا يكونُ إلّا بعد انتهاءِ شهر الصيام .

فلم يكن القصد من زكاة الفطر أن يغنيه الشارع عن السّؤال في رمضان ، وإنما عن السؤال والحاجة في يوم العيد ، فيمكن مع بعض التسامح أن نسمح للمتصدِّق بسبب الظروف الحاضرة ، وبُعد الأمكنة أن يخرج زكاته قبل يوم أو يومين ، وبهذا وردت آثار صحيحة عن بعض الصحابة أنهم تساهلوا في يوم أويومين .

السنة بين أعدائها وأتباعها الحلقة الثانية

سليم بن عيد الهلالي

لهذا الحديثِ دلالاتٌ عدّة منها :

أولًا : أنّه دليل من دلائل النبوة ، وعَلَم من أعلامها ، فقد وقع ما أخبر به المصطفى ﷺ حقًّا ، ورأيناه في الواقع صدقًا .

قال البيهقي رحمه الله في « دلائل النبوة » (١ / ٢٥) : « وهذا خبر من رسول اللهِ ﷺ عما يكون من رد المبتدعة حديثه فوجد تصديقه فيما بعد »

وقال (٦ / ٥٤٩) : « باب ما جاء في إخباره بشبعان على أريكته يحتال في رد سنته بالحوالة على ما في القرآن من الحلال والحرام دون السنة فكان كما أخبر ، وبه ابتدع من ابتدع وظهر الضرر » .

وقال العلامة المباركفوري في « تحفة الأحوذي » (٧ / ٤٢٥) : « وهذا الحديث دليل من دلائل النبوة وعلامة من علاماتها ، فقد وقع ما أخبر به ، فإن رجلًا خرج في الفنجاب من إقليم الهند ، وسمّى نفسه بأهل القرآن ، وشتان بينه وبين أهل القرآن ، بل هو من أهل الإلحاد ، وكان قبل ذلك من الصالحين ، فأضله الشيطان وأغواه وأبعده عن الصراط المستقيم ، فتفوّه بما لا يتكلم به أهل الإسلام ، فأطال لسانه في ردِّ الأحاديث النبوية بأسرها ردًا بليغًا ، وقال : هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله تعالى وإنما يجب العمل على القرآن العظيم دون أحاديث النبي ﷺ ، وإن كانت صحيحة متواترة ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ !! وغير ذلك من أقواله الكفرية ، وتبعه على

ذلك كثير من الجهال ، وجعلوه إمامًا ، وقد أفتى علماء العصر بكفره وخَرَّجوه من دائرة الإِسلام ، والأمر كما قالوا » أ . هـ

وحكى مثل قول المباركفوري الشيخ أبو الحسن عبيدالله بن محمد الرحماني في « مرعاة المفاتيح » (١ / ٢٥٨) فقال : « والحديث دليل من دلائل النبوة ، وعلم من أعلامها ، فقد وقع ما أخبر به كما لا يخفى على أَهل الهند ، سيما أَهل الفنجاب من باكستان » .

وقال العظيم آبادي في « عون المعبود » (١٢ / ٣٥٧) : « ولقد ظهرت معجزة النبي ﷺ ووقع ما أخبره به ، فإن رجلًا خرج في الفنجاب من إِقليم الهند ... وذكر مثل المباركفوي » .

قلت : فإذا وقع ما أخبر به الرسول ﷺ على الجملة ، فقد رأيناه بالتفصيل ، ودونك البيان والتفصيل الذي ذكره الرسول ﷺ :

قال ﷺ : « لا أُلفيَنَّ » بالنون المؤكدة من الإلفاء ، أي : لأجِدَنَّ ، جزمًا لذلك ، نهاهم أن يقعوا في هذه الحالة على سبيل المبالغة .

وقوله ﷺ : « متكئًا » حال .

وقوله ﷺ : « على أريكته » أي : على سريره الممهد المزين بالحلل والأثواب .

قلت : أراد بهذا صفة أهل التَّرَفُّه والدَّعَة الذين لزموا البيوت ، وقعدوا عن طلب العلم والاهتمام به ، كما هو عادة المتكبر المتجبر .

وأظهر مثال لهذه الحال صنيع أفَّاك ليبيا الأشِر ، الذي استبعد الأحاديث النبوية من مصادر التشريع ، وشكّك في دواوين السنن وبخاصّةٍ ما تلقتها الأمة بالقبول ، وزعم أن القرآن وحده لا يتطرق إليه الشك[1].

(١) انظر جريدة « السياسة » الكويتية الصادرة في ١٢ / ٧ / ١٩٧٨م ، وجريدة « الرأي العام » الكويتية الصادرة في ١٧ / ٧ / ١٩٧٨م .

وأثر هذه المعجزة النبوية يتجلى في أمرين هامين :

الأول : أنها تكتب الجزم بثبوت السنة المطهرة الصحيحة بحروف بارزة لا تمحوها عوارض الشبهات التي يثيرها أعداء السنة .

الآخر : أنها توحي أن السنة المطهرة الصحيحة وحي يوحى فقد ظهر صدقها بعد عهد النبوة وتحقق الغيب الذي أخبرت به ، والرسول ﷺ لا يعلم الغيب إلا ما أراه الله سبحانه وتعالى .

وبذلك يزداد حرص المسلم على السنة ، ويعضّ عليها بالنَّواجذ ، ويذبُّ عن حياضها بالنَّفس والنَّفيس .

ثانيًا : وضّح منزلةَ السنة في الإسلام ، وبيّن أنه لا يُستغنى عنها بالقرآن ، وأنَّ الشريعة الإسلامية ليست قرآنًا فحسب ، وإنما قرآن وسنة .

ثالثًا : قرر أن السنة مثل القرآن[1] في :

١ - الاعتبار . ٢ - وجوب الطاعة . ٣ - لزوم التكليف . ٤ - وحي من عند الله .

قال ابن حزم في « الإحكام في أصول الأحكام » (٢ / ٢٢) : « صدق النبي ﷺ ؛ هي مثل القرآن ، ولا فرق في وجوب طاعة كل ذلك علينا ، وقد صَدَّق الله

---

(١) وقد زعم بعض النوكى المغفلين من أعداء السنة أن هذا اللفظ موجب لضعف الحديث لأنه يخالف محكم التنزيل : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا ﴾ .

ولقد أوعبت بحمد الله في نقض عرى هذه الشهبة ، كما ستراه في حلقة قادمة تأتي إن شاءَ اللهُ تعالى ، ولكن لتعلم وهاءها أُنبيك بأمرين :

١- أن المثلية المنفية في الآية ليست هي عين المثلية المثبتة في الحديث كما هو ظاهر لأُولي النهي .

٢- أن المثلية المنفية في الآية ، هي إتيان الثقلين بمثل القرآن ، ولم تقل : إن الله عاجز عن ذلك والسُّنَّة كما هو مقرر بالأدلة وحي يوحى ، فتدبر (!) .

تعالى هذا إذ يقول : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . وهي مثل القرآن في أن كل ذلك وحي من عند الله قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

فهي إذن :

١- تُفَسِّر القرآن . ٢- تُقَيِّد مطلق القرآن . ٣- تُخَصِّصُ عمومَ القرآن . ٤- تفصِّل مجمل القرآن . ٥- توضِّح مبهمَ القرآن . ٦- تَنْسَخُ القرآن . ٧- تبين مشكل القرآن .

رابعًا : وجوب طاعة الرسول ﷺ استقلالًا ؛ لأنَّ حديثه ﷺ حجة بنفسه .

قال البغوي رحمه الله في « شرح السنة » (١ / ٢١) : « وفي الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب ، وأنه مهما ثبت عن رسول اللهِ ﷺ كان حجة بنفسه » .

خامسًا : السنة النبوية أتت بأحكام شرعية زائدة عمّا وَرَدَ في كتاب الله .

سادسًا : السنة المطهرة تشتمل على الأحكام الشرعية الخمسة .

سابعًا : خبر الواحد الثبت حجة بنفسه في الأحكام والعقائد ، قال الإمام الحافظُ ابن قيم الجوزية في « مختصر الصواعق المرسلة » (٢ / ٤٠٢) : « حديث أبي رافع الصَّحيح عن رسول الله ﷺ قال : « لا ألفين أحدًا منكم مُتَّكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، يقول : لا ندري ما هذا ! بيننا وبينكم القرآن ، ألا وإني أُوتيت الكتاب ومثله معه » ، ووجه الاستدلال أن هذا نهي عام لكل من بلغه حديث صحيح عن رسول الله ﷺ أن يخالفه أو يقول : لا أقبل إلا القرآن ! بل هو أمر لازم ، وفرض حتم بقبول أخباره وسننه ، وإعلام منه ﷺ أنها من الله أوحاها إليه ، فلو لم تفد علمًا ، لقال من بلغته : إنها أخبار آحاد لا تفيد علمًا ، فلا يلزمني قبول ما لا علم لي بصحته ، والله تعالى لم يكلفني العلم بما لم أعلم صحته ولا اعتقاده ، بل هذا بعينه هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ أمته ونهاهم عنه ، ولما علم أنَّ في هذه الأمة من

يقوله حذرهم منه ، فإنَّ القائل : إن أخباره لا تفيد العلم ، هكذا يقول سواء : لا ندري ما هذه الأحاديث ، وكان سَلَفُ هؤلاء يقولون : بيننا وبينكم القرآن ، وخَلَفُهم يقولون : بيننا وبينكم أدلة العقول ، وقد صرحوا بذلك ، وقالوا : نقدم العقول على هذه الأحاديث آحادها ومتواترها ، ونقدم الأقيسه عليها » أ.هـ

وقد بسطت القول في وجوب الأَخذ بحديث الآحاد في الأَحكام الشرعيّة والعقائد على حدٍّ سواء في كتابي « الأَدلة والشواهد على وجوب الأَخذ بخبر الواحد في الأَحكام والعقائد » وهو ثلاثة أَجزاء .

الجزء الأَوّل : ردّ هذه الفرية بالقواعد الأُصوليّة .

الجزء الثاني : تنقيح مقالات العلماء وأَنهم اعتمدوا حديث الآحاد في العقيدة والأَحكام الشرعيّة .

الجزء الثالث : الأَحاديث المتواترة التي ردّها دعاة هذه البدعة لجهلهم وقلّة علمهم .

(وللحديث صِلَةٌ ..)

التنبيهات والإشارات

لتقوية المجهول إذا روى عن الثقات

حمد العثمان

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أَجمعين ، وبعد :

فلمّا رأيتُ إِنكارَ البعض لتقوية المجهول برواية الثقات عنه ، واعتبار ذلك مذهبًا ضعيفًا متساهلًا لا يعوّل عليه المحققون من أَئمّة الجرح والتعديل ، كتبتُ جملة مِنْ الإِشارات في تنبيه أَرباب القول المذكور إِلى تعديل كثيرٍ من الأَئمّة لرواية بعض المجهولين لرواية الثقات عنهم :

قال ابن أَبي حاتم : سألتُ أَبي [١] عن رواية الثقات عن رجل غير ثقة ممّا يقويه ؟ قال إِذا كانَ معروفًا [٢] بالضعف لم تقوه روايتهم عنه ، وإِذا كان مجهولًا نفعه رواية الثقة عنه . اهـ

وقال ابن أَبي حاتم [١] : سألتُ أَبا زرعة عن رواية الثقات عن رجل ممّا يقوي حديثه ؟

قال – أَي العمري – : قلت : الكلبيّ روى عنه الثوري ، قال : إِنَّما ذلك إِذا لم يتكلّم فيه العلماء ، وكان الكلبيُّ يُتكلّم فيه .

وقال ابن دقيق العيد في تعليقه على حديث أَبي هريرة رضي الله عنه [٣]

---

(١) « الجرح والتعديل » (٢ / ٣٦) .

(٢) هذا قيد مهمّ ، لئلّا يرد عليه من تُكلّم فيه .

(٣) « الإمام » (١ / ٨ / أ) .

« هو الطَّهور ماءه الحلُّ ميتته » : ورجّح ابن مندة أَيضًا صحته لأَنّه قال : فاتفاق صفوان والحلّاج في الرواية عن سعيد يوجب شهرة سعيد بن سلمة ، وإِطلاق يحيى بن سعيد وسعيد بن سلمة على المغيرة بن أَبي بردة ما يوجب شهرة المغيرة وصار الإِسناد مشهورًا .

وقال أَيضًا [١] :

وأمّا الجهالة المذكورة في سعيد بن سلمة فقد قدّمنا من كلام ابن مندة ما يقتضي رواية الحلاج عنه مع صفوان ، وذلك على المشهور عند المحدثين يرفعُ الجهالة عن الراوي ، وأَمّا المغيرة بن أَبي بردة فقد ذكرنا أَيضًا من كلام ابن مندة موافقة - يحيى بن سعيد لسعيد بن سلمة في الرواية عن المغيرة ، وهو مشهور أَيضًا من طريق ابن مندة . اهـ

وهذا ابن عبدالبر [٢] لمّا ساق حديث حذيفة « اقتدوا باللذين من بعدي » ذكر قول أَبي بكر البزار : حديث العرباض بن سارية في الخلفاء الراشدين حديث ثابت صحيح ، وهو أَصحُّ إِسنادًا من حديث حذيفة « اقتدوا اللذين من بعدي » لأَنّه مختلف في إِسناده وتكلّم فيه من أَجل مولى ربعي وهو مجهول عندهم .

تعقبه بقوله :

هو كما قال البزار ؛ حديث عرباض حديث ثابت ، وحديث حذيفة حديث حسن ، وقد روى عن مولى ربعي عبدُ الملك بن عمير وهو كبير . اهـ

وقال الحافظ الذهبيّ في ترجمة مالك بن الخير الزّبادي [٣] :

مصري محلُّه الصدق عن أَبي قبيل ، عن عبادة مرفوعًا : ليس منّا من لم

---

(١) « الإِمام » (١ / ٨ / ب) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (ص ٥٤٩) .

(٣) « ميزان الاعتدال » (٣ / ٤٢٦) .

يبجّل كبيرنا » .

روى عنه حيوة بن شريح وهو من طبقته ، وابن وهب وزيد بن الحباب ورشدين .

قال ابن القطّان : هو ممّن لم تثبت عدالته - يريد أنّه ما نصَّ أَحد على أَنّه ثقة - ! وفي رواة الصحيحين عددٌ كثير ما علمنا أَنَّ أَحدًا نصَّ على توثيقهم ، والجمهور على أَنَّ من كان من المشايخ قد روى عنه جماعة ، ولم يأت بما ينكر عليه أَنَّ حديثه صحيح . اهـ

وقال أَيضًا في نقده لكتاب « الوهم والإيهام » لابن القطّان [١] في تعليقه على حديث « ما رأيت أَحدًا أَشبه صلاة برسول الله ﷺ من عمر بن عبدالعزيز » : فيه وهب بن مأنوس ،مجهول ، فأَظنُّ أَبا محمد [٢] قنع برواية جماعة عنه ، وذا شيء لا مقنع فيه ، فإِنَّ عدالته لا تثبت بذلك .

فقال الذهبيُّ مُتَعَجِّبًا : خالفك في هذا خلق . اهـ

هذه إِشاراتٌ سريعة ، وتنبيهات مُجْمَلَةٌ ، لعلّها تُفيد الطالبين ، وتنفعُ الراغبين ، واللهُ الموفّقُ .

---

(١) (ص ١٠٨) رقم : ٥٨ .

(٢) يعنى عبدالحقّ الإشبيلي .

أشعار تربويّة إيمانيّة

خير الدين وانلي

الله

مَنْ أَوْجدَ الحياة ... في تُرْبَةٍ مَواتْ[١]
من أَنبتَ النَباتْ ؟ ... لا ربَّ إلّا اللهْ
مَنْ علَّمَ الطُّيورْ ... أَنْ تبنيَ الوُكورْ
من لَوَّنَ الزُّهُور ؟ ... جلَّ القديرُ اللهْ
مَنْ أَبْدَعَ الإِنسانْ ... وعَلَّمَ البيانْ ؟
وأَنزلَ الفرقانْ ... نُورًا ؟ فَجلَّ اللهْ
عزَّ الذي أَنْزَلْ ... قُرآنَه الأَكْمَلْ
وشَرْعَه الأَمثَلْ[٢] ... على ابْنِ عبْدِ اللهْ
مَنْ فَجَّرَ الأَنهارْ ... وحَرَّكَ البِحارْ
وأَخرجَ النَّهارْ ... بعدَ الدُّجى[٣] ؟ اللهْ
مَن مُرْسِلُ الرِّياحْ ... وفالقُ الإِصْباحْ[٤]
مَنْ مُلْبسُ الأَرواحْ ... أَجسادَها ؟ اللهْ

---

(١) الموات : ما لا روح فيه .
(٢) الأَمثل : الأَفضل .
(٣) الدجى : الليل والظلمات .
(٤) الإصباح : أَوّل النهار .

يا حيُّ يا قيوم[١] يا مُجريَ النُّجومْ
يا مُنْشىءَ الغيومْ آمنْتُ يا اللهْ
يا ربُّ علِّمنا يا ربُّ سلِّمنا
يا ربُّ أَكْرِمْنا بالعَفْو يا اللهْ
واجْمَعْ على الإِيمانْ والهدْي[٢] والقُرآنْ
ذُرِّيَّةَ الإِنسانْ يا ربُّ يا اللهْ
وارْفَعْ لِواءَ الدّين مِنْ غَرْبِها للصّينْ
يا ربَّنا آمينْ انْصُرْنا يا اللهْ
أَنتَ الذي تَسْمَعْ أَنْتَ الذي تَرْفَعْ
غُفْرانَكَ الأَوسَعْ رُحْماكَ[٣] يا اللهْ

الحمد لله

قَطيعانِ في أَرضِنا والسَّماء قطيعُ غيومْ وسَخْلاتُ[٤] شاءْ
فماءٌ ورَعْد بِتِلْكَ الغُيومْ وهذا حليبٌ وعَذْبُ الثُّغاء[٥]
نُجومٌ على الأَرض لا كالنُّجوم بساطٌ مُوَشًّى[٦] بأَبهى رسومْ
تُحَرِّكُه الريح ذاتَ اليَمين وذاتَ الشمالِ فتنسىَ الهُمومْ
تَبارَكْتَ يا مَنْ جَعَلْتَ الربيعْ شبابَ السنينَ وحُلْمَ الجَميعْ

---

(١) قيّوم : قائم بذاته .
(٢) الهدي : السيرة والطريقة وخير الهدي هدي محمد ﷺ .
(٣) رحماك : طلب الرحمة منه سُبحانه .
(٤) السخلات : وليدات الشاة .
(٥) الثغاء : صوت الشاة .
(٦) مُوشّى : مطرّز .

جَمالُ الخلائقِ عَنْ خالقٍ يَنِمُّ[١] وإبْداعُها عَنْ بَديعْ[٢]

المؤمن

المؤمنُ نورُ الآفاقِ وحبيبُ اللهِ الخلّاقِ
يَسْعى للخُلْدِ بلا كَلَلٍ فنعيمُ الخُلدِ هو الباقي
رِضْوانُ المولى غايتُهُ إحقاقُ الحقِّ رسالتُه
خَفَقَتْ في العالَمِ رايتُهُ والنَّصرُ لِبَندِ خَفّاقِ
المؤمنُ بُركانٌ ثائرْ في وجْهِ الطاغوتِ الجائرْ
سَفّودٌ في عينِ الغادِرْ سَيْفٌ في تلكَ الأَعناقِ
المؤمن لا يرضى ظلمًا لا يرضى خسْفًا أَو هضْمًا
لا يرضى للدنيا حُكْمًا إلاّ قانون الخلّاق
المؤمنُ عنوان الطّهْرِ وعَفافُ الزَّنْبَقِ والزَّهْرِ
كالمِسْكِ تَضَوَّعَ بالعُطْرِ كالنّهر الصافي الرقْراقِ
أَخلاقُ المؤمنِ إيثارُ والقُدْوةُ فيهِ الأَنصارُ
والضيفُ عزيزٌ والجارُ أَكرِمْ بحَميدِ الأَخلاقِ
إيمانُ المؤمنِ أَطْوادُ وسِلاحُ المؤمنِ رَعَّادُ
سَعْدٌ للكونِ وإسْعادُ وضياءُ جميعِ الأَحداقِ

---

(١) ينمُّ : يُخبر .
(٢) البديع : المبدع .

أحوال العالم الإسلامي

التحرير

■ **ماذا بعد غروزني ؟!**

يقوم الجيش الروسي الدموي منذ شهورٍ باجتياح ساحقٍ لأرض المسلمين الشيشان الآمنين في بلادهم وديارهم ، وهذه الحملةُ العسكريةُ لا يخفى على المسلمين أهدافها وأبعادها ، فمن أهم أهدافها القضاء على أيِّ أمل للمسلمين الشيشان في قيام دولة مستقلّة على أَرضهم تُهدِّدُ روسيا وحُلفاءها ، وللأسف الشَّديد إن أكثر دول العالم – ومنها مُعظم الدول العربية والإسلامية – اعتبرت هذه الحرب الطاحنة مسألة داخلية لاشأن للعرب والمسلمين فيها (!) .

وسكوت الدول الغربية ونفاقها إنما يظهر عندما تكون الحرب ضدّ الإسلام والمسلمين ، أما لو كان الأمر يتعلّق بدولة صليبية مُعْتدى عليها أو مصالح ذاتية راجعة إلى الكفَّار أنفسهم ؛ فإنه حينئذٍ تظهر الاحتجاجات والشَّجب والاستنكار الشَّديد ، ولكنَّ المسلم يعلم يقينًا أنَّ الكفر ملَّةٌ واحدةٌ ، وأنه لا يُرتَجىٰ منهم خيرٌ للمسلمين ، ولن ينتظر المسلمون منهم نصرًا أو تأييدًا ، لأن النصر من عند الله يهبه لمن ينصر دينه ، كما وعد ووعده الحق ﴿ ولينصرنَّ الله مَنْ ينصره إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ .

ويبدو أنَّ الجيش الروسيَّ وقيادته ظنُّوا إنَّهم في نزهة في بلادهم الشيشان ، ونسوا ما أصابهم من دروس قاسية في بلاد الأفغان ، والآن يحاولون أن يُخفوا هزائمهم ويحفظوا ماء وجوههم ، أمام شعوبهم لما قاموا به من مجازفة طائشة ، وليعلم المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها أن لا عزَّة لهم إلا بالتمسُّكِ بدينِهم ، والالتزامِ

بأَحكامِه جميعِها ، ، وأنَّ الاستسلام لأَعدائهم لن يزيدهم إلا ذلًا وتشريدًا ومقتًا من الله .

ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ .

■ **أحداث البحرين :**

يشكل الرافضة الشيعة نسبةً ليست قليلةً من الشعب البحريني ، ومع ازدياد أَعدادهم كلَّ يوم – على حساب أهل السنَّة والجماعة – يزداد خطرهم ، فهم الخطر الدَّاهم للبحرين خصوصًا وللخليج عمومًا ، لأنهم توارثوا الأحقاد وتواصوا بها عبر الأجيال ، وانتشروا في المؤسسات العامة والخاصة حتى ملاءوا السهل والواد ، وبين حين وآخر يقومون بحركات وثورات وفتن لزعزعة هذا البلد الآمن ، والمطلوب من أهل البحرين عمومًا أن يتيقظوا لهؤلاء الرافضة ومخططاتهم ، فإن مواقفهم عبر التاريخ مشهودة معلومة ، وهم خَلْفَ كل فتنة وبلية أصابت أهل السنة قديمًا وحديثًا في كثير من الأمصار .

وواجب أهل السنة أن يشدوا من أزر إِخوانِهم في قمع فتنة هؤلاء ، وأن يتَّحدوا فيما بينهم ويتناسوا خلافاتهم ، وأن لا يُجَرُّوا إلى معارك مع حكوماتِهم ، لا تخدم إلا مصلحة أَعدائهم ، مع دوام المناصحة والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، والعمل على تكثير سوادهم في مقابل الزيادة الهائلة في أَعدائهم الرافضة يوميًا بحكم زواج المتعة المشروع عند الرافضة !!!

فهل يدرك أهل السنة في البحرين خطورة المرحلة القادمة ، فيرصُّوا صفوفهم ، ويقفوا على أرض صلبة حتى لا تقتلعهم الفتن وتعصف بهم المحن ، فيندموا حيث لا ينفع الندم !؟

جنَّب الله إِخواننا أهل السنة في البحرين وغيرها الفتن ماظهر منها وما بطن .

القراء منهم وإليهم

التحرير

✉ وصلت **الأصالة** رسالة من الأخ خالد بن ضيف الله السعيد - الرياض - المملكة العربية السعودية ، يقول فيها : لقد سررنا كثيرًا عند خروج الأعداد الأولى من هذه المجله التي تعني بالشؤون الإسلامية العلمية ، وخصوصًا أنَّ خروجها في زمن كَثُرَت فيه المجلاتُ الهابطةُ السَّاقطةُ التي لا هدف ولا غاية لها سوى محاربة الله ورسوله ودينه والعياذ بالله ، فأسأل اللهَ أن يوفِّقكم إلى المزيد من التَّقدم ، والأخ الفاضل يشكو تأخُّرَ وصول المجلة إليه، رغم اشتراكه بها ، وإلحاحه في الحصول عليها.

✍ **الأصالة** : نرحِّب بك يا أخ خالد ونأسف عن تأخُّر وصول **الأصالة** إليك ، والحقيقة أنه لا يد لنا نحن أُسرة التحرير في ذلك ، لأنَّ أمر اشتراكات **الأصالة** داخل دول الخليج من شأن الأخ الموزع ، وقد ذكرْنا له بعض شكواكم ، ووَعَدَنا خيرًا ، آملين أن يسعنا حلمك وصبرك وسترى خيرًا إن شاء الله ، ومعذرة إليك مرة أخرى ، والله يحفظك .

✉ ووصلت إلى **الأصالة** رسالة من الأخت في الله أُمِّ الفاروق عمَّان - جبل الحسين .

تقول فيها : يسرُّنا بدايةً أن نشكركم الشُّكر الجزيل على إصدار مجلة **الأصالة** والتي نجد فيها - نحن الفتيات المسلمات الملتزمات بمنهج السنة والكتاب إن شاء الله - أصالتنا المنشودة ، ونسعى إلى الاشتراك في هذه المجلة دائمًا ، وشراء أعدادِها الصادرة أوّلًا بأول لكي نقرأ مواضعيها الثمينة وأخبارها الهادفة ، فجزاكم الله عنا كل خير ، وإن مجلتنا الغراء **الأصالة** هي من أوائل المجلات المختصة بمنهجِ السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وحبُّنا لهذه المجله دفعنا إلى أن نرقى بها إلى درجات الكمال

البشري ، الذي يجعل الجميع يهفو إلى قراءتها واقتنائها والاطلاع عليها .

وكلُّنا أمل بكم أيها الأخوة الأفاضل أن تحوز مجلتنا **الأصالة** على بعض من اهتمامكم في شؤون المرأة .

وتقترح الأخت الفاضلة المشاركة في زاوية في **الأصالة** تهتم بشؤون المرأة مشاركة منها في الخير لدعم مسيرة المرأة .

✍ **الأصالة** تشكر الأخت الفاضلة أم الفاروق وتشكر لها مشاعرها الصادقة نحو **الأصالة** وتشيد بموقفها تجاه **الأصالة** وأسرة تحريرها ونرحب بك يا أخت أمّ الفارق زميلة لـ **الأصالة** ، ونرحب بمشاركتك راجين أن تُرسلي لنا بعض إنتاجك لنعمل على دراسته ونشر ما يتيسّر نشره ضمن زاوية المرأة التي أَشرتِ إليها ، بارك الله فيك وفي أمثالك من الأخوات الفاضلات ، ولا ريب أن ما ستقدِّمينه سيعمل على إثراء مجلتنا **الأصالة** وجزاك الله خيرًا .

✉ ووصلت إلى **الأصالة** من الأخ أسامه غندر كوسه ، يقول فيها : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أولًا : نحن نتابع هذه المجلة الغالية على قلوبنا ، ونسأل الله عز وجل أن يوفق القائمين عليها لما يحبُّ ويرضى .

والأخ يشكو في رسالته عدم وصول الأعداد إليه ، رغم اشتراكه ودفعه قيمة الاشتراك لسنة واحدة ، ويأمل أن يصله تفسير لما حدث ، ويدعو بالتوفيق لـ **الأصالة** وأسرة تحريرها .

✍ **والأصالة** تشكر الأخ أُسامة غندر على رسالته ومشاعره ، أما بخصوص تأخر الأعداد في الوصول إليك فنرجو منك الأتصال بالأخ عبدالله الدوسري موزع **الأصالة** عندكم مع التماس العذر له ولنا ، فالتأخر الذي وقع لك ليس مقصودًا ،والتقصير من طبع البشر، ونحن حريصون على وصول الأعداد لأصحابها ، والله يحفظكم .

دوائر متقاطعة

التحرير

لقد تداعتْ (الأُممُ) و (هيئتُها) على ديارِ الإسلامِ حتّى كَثُرتْ (الأَخلاطُ) ؛ فسرت في جسمِ الأُمّةِ أَمراضُ التَّميّعِ العقديِّ والسلوكيِّ تحت شعاراتٍ (برّاقة) ودعايةٍ (مضللة) من (نبذ) التعصب ، و (محاربة) التَّطرُّفِ ، و (قَمْعِ) الإرهابِ ، الأُخوّةِ في (الانسانيّة) ، و (التعايشِ) بين أَبناءِ إبراهيمَ ، فانفرطَ العقد وسقطتْ واسطتُه في الشَّرَكِ بلا ثمنٍ ، وثارَ الدَّخنُ ، وظهرتْ الإحنُ ... فرفعَ الَّذينَ في قلوبهم مرضٌ عقيرتَهم : ﴿ فَتَرى الَّذين في قلوبهم مَرَضٌ يُسارعونَ فيهم يقولونَ نخشى أَن تصيبَنا دائرةٌ فعسى اللهُ أَنْ يأتيَ بالفتحِ أَو أَمرٍ من عندِه فيصبحوا على ما أَسرُّوا في أَنفسِهم نادمين ﴾ .

وهذه كلماتٌ تحصُّنُ المسلمَ ليبقى في عرينه ، ولا يغادرَه فيألف العيشَ على الدِّمن .

أَلم يسمعْ هؤلاءِ المتهوِّكونَ قولَه تعالى : ﴿ ما كانَ إبراهيمُ يهوديّاً ولا نصرانيّاً ولكن كانَ حنيفاً مُسلماً ﴾، وقوله : ﴿ وقالوا كُونوا هُوداً أَو نصارى تهتدوا بَلْ ملّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كانَ من المُشركينَ ﴾ .

أَلم يتدبّرْ الخوالفُ قولَه جلَّ جلالُه الَّذي يقرعُ الآذان : ﴿ لتجدَنَّ أَشدَّ الناسِ عداوةً للَّذينِ آمنوا اليهودَ والَّذينَ أَشركُوا ﴾ الآية ؟

أَلم يأْنِ للمتغافلينَ أَن يعلموا الحقيقةَ ؛ ﴿ ولن ترضى عنْكَ اليهودُ ولا النصارى حتّى تتبعَ ملَّتَهم ﴾ .

ولكن ؛ نحن على بيّنةٍ في ربِّنا : ﴿ ولا تحسبَنَّ اللهَ غافلاً عمّا يعملُ الظالمون إنَّما يؤخرهم ليوم تشخصُ فيه الأبصار . مهطعين مقنعي رؤوسِهم لا يَرْتدُّ إليهم طرفهم وأفئدتُهم هواء . وأَنذرِ الناسَ يومَ يأْتيهمُ العذابُ فيقول الَّذين ظلموا ربّنا أَخرنا إلى أَجلٍ قريبٍ نجب دعوتَكَ ونتبعِ الرُّسلَ أَولم تكونوا أَقسمتم من قبلُ ما لكم زوال . وسكنتم مساكنَ الذين ظلموا أَنفسهم وتبيَّنَ لكم كيفَ فعلْنا بهم وضربنا لكمُ الأَمثالَ . وقد مكروا مكرهم وعند اللهِ مكرهم وإِنْ كانَ مكرُهم لِتزولَ منه الجبالُ . فلا تحسبنَّ اللهَ مخلفَ وعدِه رُسُلَه إِنَّ اللهَ عزيزٌ ذو انْتقام ﴾ .

المحتوى

فاتحة القول : مَنْ للإِسلام ؟!

التحرير ٥

تأملات قرآنيّة : رحمة للأُمّة .

مشهور بن حسن ٧

الكلم الطيّب : المؤمن مفتن .

علي بن حسن ١١

مباحث عقديّة :كلمة التوحيد ؛ فضلها ومعناها .

محمد بن صالح العثيمين ١٣

كلمات في الدعوة والمنهاج : في فقه الدعوة .

أَحمد سلام ١٧

آفات على الطريق : لم تقولون ما لا تفعلون ؟!

محمد موسى نصر ٢٣

في رياض اللغة : أَضواء .. حول قضيّة المجاز . الحلقة الأُولى

مصطفى عيد الصياصنة ٢٥

واحة الشعر السلفي : دفاع عن أَهل الحديث .

سلطان بن محمد الشمري ٣٠

مصطلح وبيان : إِنَّ الدين يسر .

أَمة الله أُمّ مالك ٣٣

قيم إِسلاميّة : ضوابط الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

محمد إِبراهيم شقرة ٣٦

السلوك وتزكية النفوس : الإِسلام والتربية .

خالد محمد علي الحاج ٤٥
في السياسة الشرعيّة : نماذج من سيرة الدعاة إلى الله . (الحلقة الأُولى)
د . صالح بن غانم السدلان ٥٦
الكتب تعريفاً ونقداً : وقفات مع كتاب « السلفيّة .. » للبوطي (الحلقة الثانية)
محمد فريز منفيخي ٦٢
مناقشات : حول قصيدة البردة .
د . محمد المغراوي ٧٥
من جعبة التاريخ : بين عالم وحاكم .
عمر بن أَحمد الأَحمد ٨٩
متابعات : المؤتمر السنوي الثامن لجمعيّة القرآن والسنّة في أَمريكا .
د . محمد الحبالي ٩٤
ردود وتنبيهات : الكوثري والكوثريّة .
الشمس السلفي الأَفغاني ١٠٢
مسائل وأَجوبتها :
العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الأَلباني ١١٩
في السنّة وعلومها : السنّة بين أَعدائها وأَتباعها (الحلقة الثانية) .
سليم بن عيد الهلالي ١٢٢
دراسات اصطلاحيّة : التنبيهات والإِشارات لتقوية المجهول إِذا روى عن الثقات.
حمد العثمان ١٢٧
ركن الطفل المسلم : أَشعار تربويّة إِيمانيّة .
خير الدين وانلي ١٣٠
أَحوال العالم الإِسلامي :
التحرير ١٣٣
القرّاء منهم وإِليهم :
التحرير ١٣٥
دوائر متقاطعة :
التحرير ١٣٧